
الله
رسول
محمد
محبة الله
هارون يحيى

المحبة من نعم الله تعالى. والإنسان في حياته يرغب ويحرص أن يكون مع من يحب ويثق به ويحسن نحوه بمشاعر طيبة. وقد خلق الباري البشر على فطرة الحب والتآلف، يحب ويصادق ويألف، ويحب ويصادق ويؤلف. ومصدر الحب ومنبعه في قلب المؤمن أصله من محبة الله تعالى بعمق وقوة ووشائجة متينة. وحال المؤمنين هي التعلق بالله بشدة وبذل الجهد والجهيد لنيل محبته والفوز برضاه. ومن يمتلىء قلبه بمحبة الله يشعر بالحب والعطف على جميع مخلوقاته. يشفق عليهم ويبسط لهم جناح الرحمة ويرجو لهم كل خير وجمال.

الذين لا يعرفون الله حق معرفته ولا يتحلون بأخلاق القرآن وآدابه محرومون من المحبة الصادقة والاخوة الأصيلة. يعيشون حياتهم في ضنك وضيق وعذاب رغم مظاهرهم البراقة وما هم عليه من أبهة ومخافة. ولأنهم لم ينالوا حظا من السعادة والاطمئنان، تصبح حياتهم فارغة من دفء الحب والحنان ومحرومون من ظلال المحبة الوارفة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة. لا يعرفون معنى حب غيرهم، ولا يحبهم أحد غير أنفسهم. وما يشعرون به من حب زائف قد اختلط به الشرك والكفر بنعم الله، لا يأتي لهم منه إلا البؤس والألم والتشاؤم.

إن الهدف من هذا الكتاب تذكير الناس وتعريفهم بأهمية الحب الأصيل والمحبة النبيلة تجاه رب العالمين صاحب الرحمة الكبرى، وتجاه المؤمنين به وعموم خلائقه، وما يمتاز به غير المؤمنين والمنكرين لإفضال الله من بعد شاسع عن مفاهيم المحبة، وما هم عليه من بؤس وعذاب وبلاء.

حول الكاتب

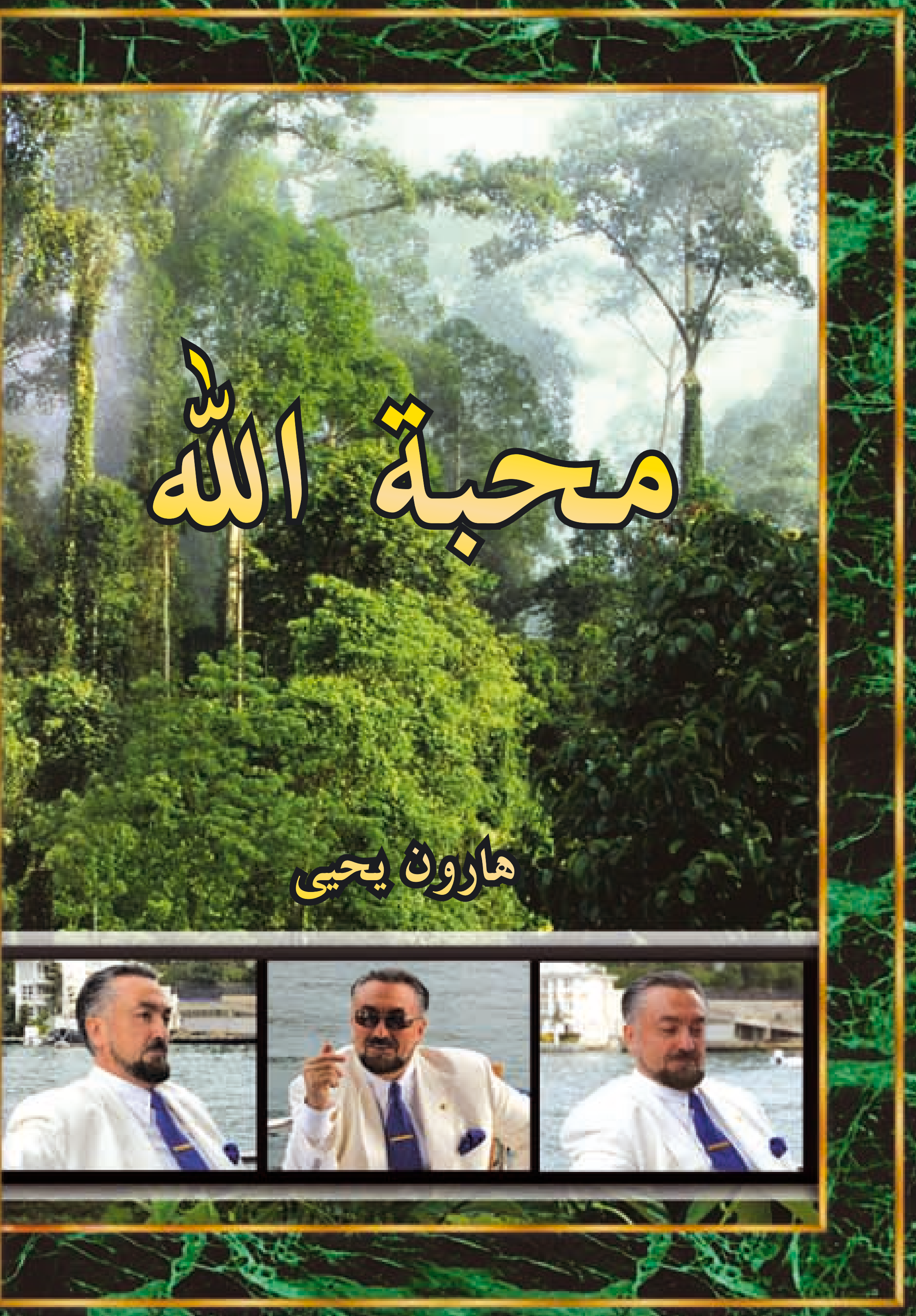


ولد عدنان أوقطار عام ١٩٥٦، وهو يستعمل الاسم المستعار هارون يحيى. ومنذ الثمانيات من القرن الماضي كتب عدداً كبيراً من المؤلفات في مواضيع مختلفة، إيمانية وعلمية وسياسية، إلا جانب ذلك يوجد للكاتب مؤلفات في غاية الأهمية تكشف زيف أتباع نظرية التطور، وتفند ادعاءاتهم، وتفضح الصلات الخفية، بين الداروينية والأيديولوجيات الدّموية.

وهدف المؤلف الرئيسي من وراء أعماله هو إيصال نور القرآن الكريم إلى شتى بقاع العالم، ودفع الناس بذلك إلى التفكير والتفكّر في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله تعالى ووحدانيته، واليوم الآخر، وكذلك كشف الأسس المتهاونة لنظم الجاحدين وسلوكياتهم المنحرفة. وإلى حدّ الآن ترجم للكاتب نحو ٢٥٠ مؤلفاً إلى ٥٧ لغة مختلفة، وهي تحضى باهتمام بالغ من قبل شريحة واسعة من القرّاء. وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى خلال القرن الواحد والعشرين، وسيلة للبلوغ بالإنسان في شتى أنحاء العالم إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي جاء التعريف بها في القرآن الكريم.


بسم الله الرحمن الرحيم
الله
رسول
محمد




محبة الله
هارون يحيى



وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن الذين يساهمون في نشر هذه الكتب ويحثون الناس على قراءتها لتكون وسيلة لهدايتهم هم في الحقيقة يقدمون خدمة للدين لا تقدّر بثمن.

وعلى هذا الأساس، فإنّ العمل على نشر الكتب التي ثبت بالتجربة أنها تشوش الأذهان وتُدخل البلبلة على الأفكار وتزيد من الشّكوك والتردّد ولا تملك تأثيرًا قويّا وحاسمًا في طرد الشبهات من القلوب، يُعتبر مَضيعةً للجهد والوقت. ومن الواضح أن هذه المؤلفات لم تكن لتترك كل هذا التأثير لو كانت تركز على بيان القوة الأدبية للكاتب أكثر من تركيزها على الهدف السامي المتمثل في هداية الناس. ومن لديه أدنى شك في ذلك فيمكنه أن يتحقّق من أن الغاية القصوى هي دحض الإلحاد ونشر أخلاق القرآن من خلال تأثير هذا الجهد وإخلاصه ونجاحه.

يتعين إدراك حقيقة مهمة، وهي أن الظلم والفوضى السائدين اليوم في أنحاء الأرض وما يتعرض له المسلمون من أذى سَببه تحكّم الفكر الإلحادي في شؤون العالم. والطريق الذي يضمن الخلاص من هذا كلّه هو إلحاق الهزيمة بالفكر الإلحادي وبيان حقائق الإيمان و إجلاء الأخلاق القرآنية بحيث يُصبح النّاس قادرين على التمسك بها. وبالنظر إلى حالة العالم وما يُراد له من مزيد جرّه إلى الفساد والشّرور والدمار فإنه من الضروري المُسارعة قدر المستطاع إلى القيام بما هو ضروري، وإلا فقد يُقضى الأمر ولاتَ حين مناص. وخلال القرن الواحد والعشرين، وبإذن الله تعالى سوف تكونُ كليّات هارون يحيى –من خلال نهوضها بهذه المهمّة– الوسيلة للوصول بالنّاس إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي أوضحها لنا القرآن الكريم.

حول المؤلف

يتكون الاسم المستعار للكاتب من "هارون" و "يحيى" في ذكرى موقرة للنبيين اللذين جادلا ضد الكفر والإلحاد، بينما يظهر الخاتم النبوي على الغلاف رمزًا لارتباط المعاني التي تحتويها هذه الكتب بمضمون هذا الخاتم. ويشير هذا الخاتم النبوي إلى أنّ القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وأنّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين. وقد اتخذ الكاتب لنفسه القرآن الكريم والسنة النّبوية دليلاً ومرشدًا، وفي جميع المؤلفات أخذ العهد على نفسه بنسف جميع الأسس التي تقوم عليها النظم الإلحادية وإبطال كل المزاعم التي تقوم عليها الحركات المناهضة للدّين. ويعتبر هذا الخاتم الذي مَهر به كتبه بمثابة إعلان عن أهدافه هذه.

تدور جميع كتب المؤلف حول هدف رئيسي هو تبليغ نور القرآن ورسالته لجميع الناس، وحثهم على الإيمان بوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر، وعرض تهافت النظم الإلحادية وفضحها على الملإ.

تحضى كتب هارون يحيى بقبول واهتمام كبيرين في شتى أنحاء العالم؛ من الهند إلى أمريكا، ومن إنكلترا إلى أندونيسيا، ومن بولونيا إلى البوسنة، ومن إسبانيا إلى البرازيل، ومن ماليزيا إلى إيطاليا، ومن فرنسا إلى بلغاريا وروسيا.

ترجمت كُتب المؤلّف إلى العديد من اللّغات الأجنبية، ومن بين تلك اللغات: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإويغورية والاندونيسية والمالاوية والبنغالية والصربية والبلغارية والصينية والسواحلية (لغة مستعملة في تنزانيا) ولغة الهوسه (لغة منتشرة في إفريقيا)، ولغة الدّيولهي (لغة مستخدمة في موريس) والدانماركية والمجرية وغيرها من اللغات. و هناك إقبال كبير على قراءة هذه الكتب بهذه اللغات.

لقد أثبتت هذه المؤلفات جدارتها، ووجدت تقدير كبيرًا في كافة أنحاء العالم. وقد كانت سببًا في هداية كثير من الناس إلى طريق الإيمان وساهمت من جانب آخر في تقوية إيمان كثير من المؤمنين. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها يلاحظ بوضوح الحكمة البالغة التي تكمن فيها والسهولة الموجودة بين ثنايا سطورها والصدق الذي يميز أسلوبها والعمق في تناول القضايا العلمية. وما يميّز هذه المؤلفات أيضا سُرعة تأثيرها وضمان نتائجها وعدم القدرة على نقض ما فيها ودحضه. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها بعمق لن يكون بإمكانه بعد ذلك الدّفاع عن الفلسفات المادية والآراء الإلحادية والأفكار المُنحرفة الأخرى.

وإذا حدث وأن نافح منافح عن تلك النظريات بعد مطالعة هذه المؤلفات فلن يكون ذلك سوى عن عناد عاطفي لأنّ السّند العلميّ قد تمّ دحضه وإبطاله. ولا شك أن هذه الخصائص نابعة من قوة حكمة القرآن وحُججه الدّامغة. والكاتب لا يسعى من وراء عمله هذا إلى نيل المديح والثناء إنما هدفه وغايته هداية الناس والسير بهم في طريق الإيمان، كما أنّ ليس همّه تحصيل أيّ ربح أو مكسب مادّي.



إلى القراء الكرام

إن المواضيع الإيمانية الموجودة في جميع كتب المؤلف مشروحة وموضحة في ضوء الآيات القرآنية. وهذه الكتب تدعو الناس جميعًا إلى فهم هذه الآيات والعيش وفقا لتعاليمها. لقد تم شرح جميع المواضيع المتعلقة بآيات الله بحيث لا تبقى هناك أي شبهة أو تردد في ذهن القارئ. إن الأسلوب السلس والسهل والرصين المنبعث من القلب هو الذي يسَّر فهم هذه الكتب من قِبل الجميع صغارا وكبارا، ومن كل فئات المجتمع، بسهولة ودون أي صعوبة، وهو الذي جعل هذه الكتب كتبًا لا تستطيع أن تتركها قبل إتمام قراءتها. وحتى الذين اتخذوا موقفا معارضا للدين يتأثرون بالحقائق المذكورة في هذه الكتب، ولا يستطيعون دحض صحة محتوياتها.

وكما يستطيع القراء قراءة هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف على انفراد، فهم يستطيعون قراءتها بشكل جماعي، أو مناقشتها فيما بينهم والتسامر حولها. إن قراءة هذه الكتب بشكل جماعي ونقل كل فرد رأيه وخبرته إلى الآخرين أمر مفيد جدا.

علاوة على هذا، فإن المساهمة في تعريف هذه الكتب – التي لم تؤلَّف إلا لوجه الله تعالى ولمرضاته – ونشرها بين الناس تُعَد خدمة إيمانية كبيرة، لأن الأدلة والبراهين التي يوردها المؤلف في هذه الكتب قوية جدا ومقنعة، لذا كان على كل من يريد خدمة هذا الدين تشويق الآخرين لقراءتها والاستفادة منها.

إننا نأمل أن يتسع وقت القارئ للاطلاع على استعراض الكتب الأخرى، الذي نقدمه في نهاية هذا الكتاب، ليكون على علم بوجود منابع ثرَّة ومصادر غنية من الكتب في المواضيع الإيمانية والسياسية، التي تعد قراءتها مفيدة وممتعة للغاية.

لا ترى في هذه الكتب ما تراه في بعض الكتب الأخرى من رؤى شخصية للمؤلف، ولا ترى شروحا وإيضاحات مستندة إلى مصادر مشبوهة، ولا أي نقص أو قصور في أسلوب الأدب والتوقير الواجب اتخاذه تجاه المفاهيم والمواضيع المقدَّسة، ولا ما يجُر القارئ إلى الحيرة والتردد أو إلى اليأس والقنوط.

GLOBAL PUBLISHING

Talatpasa Mah. Emirgazi Caddesi

Ibrahim Elmas Ismerkezi

A Blok Kat 4 Okmeydani - Istanbul

Tel: (+90 212) 222 00 88

محتويات الكتاب



المدخل



المحبة من نعم الله تعالى العظمى. إن الإنسان يرغب ويحرص في حياته أن يكون مع من يحب، ويثق به ويحس نحوه بمشاعر طيبة. ولاشك أن الظروف والشروط التي تبرز ونوضح نعم الله الكثيرة هي تلك التي تسود فيها المحبة الصادقة، والصداقة والاخوة المخلصة والرفقة الحميمة. والإنسان يرغب أن يشاركه من يحب في التمتع بجمال منظر طبيعي مثلا، كما ويتمنى أن يكون بقربه أعز الناس وأقربهم إلى قلبه على مائدة طعام شهي أو في بيت جميل. فبدون ذلك يشعر بأن كل شيء فقد بريقه وطعمه الحقيقي. ذلك لأن الله خلق الإنسان وفطره على أن يتبادل المحبة مع غيره ويجد في الرفقة والصداقة ما يشفي غليله ويرضي رغبات نفسه. غير إن المحبة الحقيقية لدى المؤمن، تتجلى وتتمحور في مرافقته ومصاحبته من يتصف بالأخلاق القرآنية. ففي أمثال هؤلاء يجد من نعم الله أطيبها وأزكاها.

لهذا السبب فإن الجنة التي وعدها الله عباده المؤمنين هي المكان الذي يظهر فيه الحب الحقيقي الأصيل والرفاقة الصادقة بأروع وأبهى صورها وأشكالها. فعندما يذكر الجنة وأحوالها في سور القرآن الكريم، تبرز أمامنا معاني الحب والود والفرح والحبور، وكل ما هو طيب وجميل من أقوال وأفعال. كما ونجد أن كل ما يمنع المحبة أو يضعف الزمالة والأخوة قد أبعدت وأهملت تماما عند ذكر نعيم الجنة. وأكدت الآية أن أهل الجنة نزع من قلوبهم الغل والبغضاء

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ

غلٍّ تَجْري منْ تَحْتهمْ الأَنْهارُ وَقالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانا لهَذا وَما كُنَّا لنَهْتَديَ لَوْلاَ أنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالْحَق وَنُو دُوا أَنْ تلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورثْتُمُوهَا بمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ٤٣)

فلا نجد مفردات أو كلمات من مفاهيم مثل الحقد والبغضاء والغضب والحسد والتناحر والتنافر والخصام، إذ لا مكان لها ولا اعتبار عند أهل الجنة.

من خصائص ومميزات أهل الجنة من المؤمنين، أنهم كانوا في حياتهم الدنيا على حب عظيم لكافة رسل وأنبياء الله، وجميع المؤمنين ومن الصادقين والصالحين والذين جاهدوا في الله من عباده المتقين، والعبد المؤمن يجاهد ويحاول كسب محبة وصداقة الصالحين والمتقين من المؤمنين لكي ينال رضا الله تعالى. وهو يشعر بلذة وحلاوة الإيمان في معاشرتهم ورفاقتهم، بالإضافة إلى ارتباطه بأواصر الوفاء مع جميع المسلمين. ولقاء هذه المشاعر الخالصة من الحب والمودة، يعدهم





ربهم بمكافأة سخية، النعيم المقيم في جنانه حيث الروح والريحان.

إن منبع الحب في قلب المؤمن ومصدره من حب الله تعالى. وهو دائم السعي لنيل رضا وكسب محبته. وهذه الرغبة كامنة في سويداء نفسه.

لقد خلق الباري الناس جميعا من العدم، وبفضل منه اكتسب الحياة وبعثت فيه الروح، وتمتع بنعم كثيرة من لذائذ الطعام وأطياب الفواكه وبدائع مخلوقاته من الأنعام والشجر، وكل هذه المخلوقات البديعة، من منظر رائع ومشهد مثير ومهيب، من الشمس والقمر والنجوم، والماء والهواء والصحة والعافية، تجعل الحياة

رغيدة بدون نقص أو عيب. وهذه الأرض التي تمضي مسرعة في مدارها خلال الفضاء الكوني الفسيح اللامتناهي، وبكل دقة وأمان هي من مظاهر رحمته التي لا حد لها ولا عد. يدرك المؤمن حين النظر إلى كل هذه النعم مدى جلال الخالق وعظمته، هذا الحاكم المدبر لكل ما في الكون

إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

(سورة المائدة / ٥٥)



بكل ما في الحكمة من معاني الروعة والإبداع والإعجاز.
هذا التفكر والتدبر يزيد من إيمان المؤمن ويقربه إلى ربه أكثر فأكثر حتى يشعر حلاوة الإيمان وطعم محبة الحياة، ومن يبلغ هذه المرتبة العالية يكون أرص الناس على الالتزام بحدود الله وسننه ويطيع أوامره بكل رضا وكمال، ويخشاه حق خشيته ويؤدي واجب العبد المخلوق تجاه معبوده وخالقه، طمعا وطمحا في كسب المغفرة والرحمة، ثم الفوز بالجنة والنعيم.

إن مثل هذا المؤمن وبهذه الصفات والشمائل الإيمانية الصادقة، لا ينفك يسعى ويجاهد إلى عمل المزيد من الصالحات حبا في خالقه وشوقا إلى رحمته، وبذلك فهو يضيف إلى هذه الحياة مزيدا من الجمال والخير، ويكون بحق الإنسان الفاضل على الأرض. ومن يكون هدفه وغايته بلوغ محبة الله لابد له وأن يحب



مخلوقاته كذلك. يعطف ويرحم ويشفق ويمنع السوء ويسعى إلى الخير. ولعل من أكثر خلق الله فضلا وخيرا، الأنبياء والمرسلون الذين قادوا البشرية إلى دروب المحبة والتآلف.

و يبشر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين يعملون صالحات الأعمال بقوله:

﴿ ذَلكَ الَّذي يُبَشِّرُ اللهُ عبَادَهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إلَّا الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرفْ حَسَنَةً نَزدْ لَهُ فيهَا حُسْنًا إنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (سورة الشورى / ٢٣)

الذين لم يعرفوا ربهم حق معرفته ولم يدركوا أو يصلوا إلى الأخلاق القرآنية، حرموا من كل معاني المحبة والألفة والرفاقة الحقيقية.



وبذلك أصبحت حياتهم ومعيشتهم كلها عذاباً ونغصاً وكدراً. ومن يكن بعيدا عن الإيمان وفارغ قلبه من محبة الله، يعش حياة الوحدة الكئيبة ليس فيها لحظة سعادة أو طعم الوجود وحلاوته. هذا الحرمان من معاني الحب هو الجزاء العادل والقصاص الحق من الله تعالى لأولئك الذين أنكروا النعمة والفضل والكرم الرباني. وهؤلاء كما لا يعرفون للحب معنى فلا يحبهم أحد ولا يحبون أحد. يتوسلون بها من أشكال الشرك بالله لا تأتي لهم اللا التشاؤم والضيق والتعاسة.

و يصف الله في القرآن الحرمان من المحبة والصداقة والتآلف بأنها من خصائص جهنم وأهلها:

﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين



فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾ (سورة الحاقة/٣٣-٣٥)

إن هدف كتابنا هذا، هو التذكير والتأكيد على أهمية وعظم شأن الحب لله وفي الله، صاحب الإحساس اللامتناهي والفضل العظيم، ومحبة مخلوقاته، والمؤمنين على وجه الخصوص، وإظهار وإبراز ما هو عليه غير المؤمن والناكر لأفضال الله المحروم من مظاهر المحبة والسعادة وما هو فيه من بلاء وضنك وعذاب. إلى جانب ترغيب المؤمنين وتشويقهم أن يتجنبوا الوقوع في مزالق الكافرين، والتقرب أكثر من ربهم وخالقهم، ومن عباده الصادقين المؤمنين المتقين والارتباط بقوة بعروة الله الوثقى وبكل شوق ورغبة، وفاء واعترافا بالجميل. حينئذ يشعرون بحلاوة نعيم جنات الله وهم لا يزالون في هذه الحياة الدنيا.


محبة الله



إن الإنسان يرغب عادة ويحاول رد جميل من يصنع إليه معروفا ولو كان بسيطا، ويظهر تلك الرغبة بالقول والفعل. فإذا ضيفه وأكرمه أحد فإنه يظهر امتنانه وشكره لقاء ذلك، لاسيما إذا كان مضيفه لطيف المعاشرة لين الجانب يلبي رغبات ضيفه دون سؤال منه أو طلب. أما هذا المريض الذي يجد الشفاء من مرضه على يد طبيبه، فإنه لا يعرف كيف يعبر له عن شكره وغبطته. وهذا عابر السبيل الذي ينقذه صاحبه من أن تدهسه سيارة مسرعة، سوف يظل يتذكر ويذكر فضله عليه بإنقاذه له من موت أكيد، ويحاول أن يرد له الجميل بشتى الوسائل.

و حينما يقوم أحد بمعاونة ومساعدة مريض أو من هو في ضيق وحاجة فإنه سوف يسمع كل عبارات الثناء والشكر والمديح. ويلقى ممن أحسن إليه كل الاحترام والتقدير والتبجيل. ولا يتوقع أو ينتظر منه بالمقابل أي سوء أو خيانة أو غدر. فالإنسان عادة يشعر بالحب والمودة والتقرب إلي من أسدى إليه جميلا أو معروفا، ويتجنب أن يظهر منه نحوه أي خطأ أو إهمال أو زلل. ينسى بعض الناس أو يغفلون عن حقيقة بارزة واضحة صريحة، ذلك أن الله هو صاحب الكرم



والفضل والنعمة على خلقه. فهو من أنعم على عباده بالحياة، ورزق عباده من الطيبات ومتعهم بجمال الطبيعة وروعة الخلق، وهو الذي يشفيهم إذا مرضوا جاعلا من العلاج والأدوية سببا لتخفيف أوجاعهم وآلامهم، وهو الذي يحيه كل صباح بعد أن يميتهم حين ينامون، وهو خالق ومبدع كل حي وجماد. ولقاء كل هذه النعم لزام على العبد أن يظهر امتنانه وشكر هو حمده لمن وهب له كل ذلك، اعترافا منه بالجميل، ووفاء بالفضل. وأن لا ينسى هذا الإنسان أن الله هو من يسخر من عباده من يقوم بمعاونة غيره من الناس، وأن الفضل أولا وأخيرا له سبحانه، فهو الآمر والموجه لعمل الخير. يقول الله في أي كريمة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (سورة التوبة / ١١٦)

و في دعاء نبي الله وخليله إبراهيم(ع) يتجلى ما يتوجب على المخلوق أن يخاطب به خالقه امتنانا لرحمته.

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (سورة الشعراء / ٧٨ – ٨٢)



الله الذي وهب الإنسان كل مظاهر الجمال

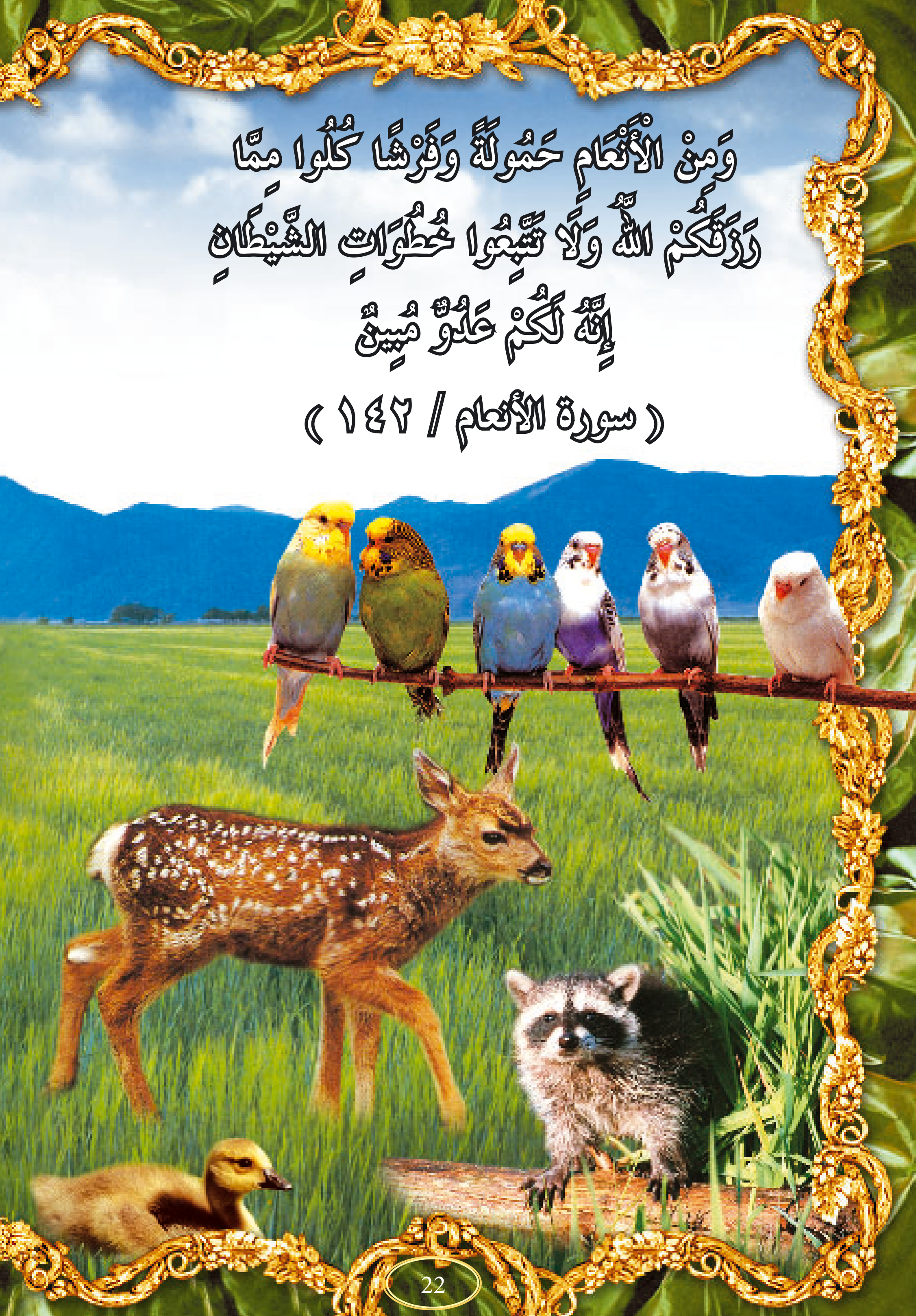
إن الله تعالى صور الإنسان وخلقه من العدم على أجمل وأكمل شكل. وهيأه لهذه الحياة على الأرض على أحسن وجه. فمثلا، فان الناس في كل ركن من الأرض يتنفسون الهواء بيسر وسهولة. والله جعل الهواء المحيط بفضاء بالأرض خليطا متناسبا ومتعادلا وموزونا بدقة وكمال ليكون مهيئا لعيش الإنسان. فكانا يتصور ما يمكن أن يعانيه الإنسان إذا ما حوصر في مكان ضيق بدون هواء كاف. كان من الممكن أن نخلق نحن أيضا بشكل لا نستطيع فيه أو نقدر على التنفس بيسر وسلامة.)

ولكن فضل الله علينا جعلنا نشعر براحة وانشراح من تنفس الهواء



بهذه السهولة. والله تعالى خلق في أرجاء هذه المعمورة أنواع النبات والزرع والفواكه والحبوب، متنوعة أشكالها ومختلفة ألوانها ومذاقها. كان من الممكن أن يخلق الله نوعا واحدا فقط خاليا من الطعم واللذة أو المظهر الجميل، وأن نضطر إلى الاكتفاء بهذا النوع الوحيد لكي نعيش. ولكن الله صاحب الفضل والكرم خلق لنا أنواع الأثمار والنباتات مختلفة ألوانها وأشكالها، شهية المنظر وحلوة الطعم وجميلة المنظر والمذاق. فكما أن الإنسان مجبر على أن يتغذى لكي يديم حياته، فإنه يفعل ذلك أيضا مع التمتع بلذة ما يأكله.




وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا
رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
(سورة الأنعام / ١٤٢)



و في مخلوقات الله من الحيوانات العديد والكثير من مظاهر الجمال. فكما أن حيوانات مثل الفرس والجمال والكلاب تساعد الإنسان وتقضي له بعض حاجاته وتقوم ببعض أعماله، فإن حيوانات أليفة وديعة أخرى مثل، القطط والطيور تتمتع بجمال المنظر يشعر الإنسان المقتني لها بالمسرة عند النظر إليها. ففي طير صغير ذي ألوان غاية في الجمال والتدرج والتنوع من الأصفر إلى الأحمر إلى الأبيض وما تخرج من أفواهها الصغيرة من الألحان والأصوات الجميلة وما في ريشها من أشكال جميلة وعجيبة، تجد بدائع خلق الباري مما يبعث الراحة والانشراح في نفس الإنسان ويشرح صدره ويزيل عنه الهم والكدر.


وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا
وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا
(سورة النبأ / ١٢ – ١٦)



و من نعم الله تعالى وأفضاله الكثيرة التي سخرت لنا ونصل إليها بكل سهولة ودون عناء أو مشقة هذا الهواء الذي نتنفسه والأمطار التي تنزل من المزن تروي سطح الأرض وتذهب إلى أعماقها. والخلائق العديدة من الحيوانات والنباتات وحتى الجماد وما يحويه باطن الأرض من الخزائن والمعادن، إلى الماء الرقراق مصدر الحياة، وغيرها كثير. ولكي يبقى الإنسان حيا ويستمر على البقاء ويديم العيش على الأرض. فأن أمورا

خطيرة ومثيرة ودقيقة غاية الدقة تحصل في الأرض والكون للمحافظة على هذه النسب المقبولة والمقدرة بكل دقة من عناصر الحياة.

إن المخلوقات والكائنات الحية- عدا الإنسان- لا تدرك ولا تشعر بالميزات والخصائص التي تملكها وتكمن فيها. فالأرنب مثلا يعيش حياته كلها دون أن يدرك مدى لطفه وجماله وحب الناس له. والفراشة كذلك غير مدركة جمال وتناسق تصميم





أجنحتها وألوانها والطاووس لا يدرك ما يمتلكه من الريش ذات الألوان البهيجة والتوزيع البديع لتصميم جسمه وأنها سبب في إعجاب الناس بروعة منظره وحسن ريشه ومظهره. ولكنه غير مدرك مدى روعة هذا الريش العجيب وتصميم الذنب الغريب وتوزيع الأشكال والألوان البراقة عليه مما يجعله من أجمل المخلوقات في الطبيعة. إن قابلية الإنسان لإدراك هذا الجمال تدفعه إلى الوصول إلى حقيقة عظمة الخالق المبدع وقدرته البالغة، وهذا بحد ذاته إحدى النعم التي تستوجب الشكر عليها.

إن الله تعالى يعرض على الناس من خلال هذه المخلوقات البديعة الصنع أحد أجمل نعمه وأفضاله.


وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(سورة الرحمن / ١٢– ١٣)



وعلى الإنسان أن يدرك عظمة الخالق في كل هذه الألوان والأشكال والتصاميم ذات التناسق والتناغم والتناسب، وأن يتوجه إلى تقديم واجب الشكر والعرفان عليها. إن نعم الله تعالى وأفضاله على هذه الأرض لا تعد ولا تحصى فالزهرة مثلا تمتلك آيات الإعجاز الكبير في جمال منظرها وروعة تركيبها أوراقها موزعة بدقة وتناسق كبير. وملمس هذه الأوراق ورقتها تضاهي أرقى أنواع الأقمشة الغالية من الديباج والحرير، وألوانها من أبدع ما يتوفر في الطبيعة. ورغم خروجها وانبثاقها من هذه التربة السوداء، لا تجد عليها أي نقطة من القذارة والقذى، أو غشاوة في ألوانها البراقة الرائعة. أما رائحتها فأن أرقى ما توصلت إلى إنتاجه التقنية الحديثة لا تستطيع أن تأتي بمثلها أو أن تجاريها أو حتى أن تقلدها في خصائصها الفريدة. فالروائح والعطور الصناعية تفقد مزاياها بمرور بعض الوقت، ولكن الورود تحافظ على رائحتها العطرة، وتقدم للإنسان أروع ما يمكن أن يتمتع به من الأحاسيس والشعور. ومع كل هذه المزايا فأن الوردة لا تدرك أو تشعر أي منها، كما لا يمكن إدراكها أو الشعور بها من قبل باقي المخلوقات في عالم الحيوان والنبات. الإنسان وحده أعطي هذه النعمة الكبيرة، نعمة التمتع بجمال الخلق، هذا الجمال الذي ينتشر على سطح الأرض فبالإضافة إلى كونه نعمة جليلة من الرب الرحيم فأنه انعكاس لجلاله وبدائعه. ولهذا فإن الإنسان الذي يملك ضميرا حيا وفكرا ثاقبا يدرك حتما أن الله هو صاحب ومالك هذه الأشياء الرائعة، ويقترب بشوق ولهفة إلى ربه ملتمسا محبته ورضاه، مقدرا له روعة وعظمة الدلائل



والآيات الدالة على بديع صنعه وجلال خلقه.

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل / ١٤)

و لعلنا لا ندرك أو نستطيع أن نحصي نعم الله الكثيرة. ومثال واحد فقط مما جئنا بها من أمثلة، كاف لإدراك ما وهبه الله للعباد من الجود والكرم والفضل الكثير.

إن ما يتمتع به الإنسان

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ

(سورة النحل / ٥٣)

من عقل وقدرة على التفكير والتأمل يدفعه إلى إدراك ومعرفة الله تعالى. ويستوجب عليه كذلك أن يسخر هذه القدرة لزيادة تقربه من الله وتمتين تعلقه ومحبته به سبحانه، فحين يحكم الإنسان ضميره فسوف يدرك ما يدور حوله في الكون والطبيعة من التناسق والتناسب الموزون والدقة والبراعة الفائقة في الخلق. وحين يعمق في التفكير في آلاء الله وتفاصيل خلقه سيتوصل أخيرا إلى إدراك وتقدير جلال الخالق، ويزداد حبه وتعلقه به مما يطغى على كيانه وينعكس في تصرفاته.

وفي القرآن الكريم: آيات عديدة تذكر الإنسان بنعم الله وفضله على الإنسان خاصة، وتعدد بعضا منها وتكفله بمهمة وواجب التفكير والتحقق

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**

(سورة فاطر / ٣)



ما ذكره الله في هذه الآيات هو بعض من
النعم التي أنعمها الله تعالى على البشر في
حياتهم الدنيا. وفي نسق هذه الآيات يقول
تعالى أيضا وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
(سورة النحل / ١٣)

لتعميق إدراكه. ومن هذه الآيات:

﴿ خَلَقَ الإنسان منْ نُطْفَة فَإذَا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فيهَا دفْءٌ وَمَنَافعُ وَمنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فيهَا جَمَالٌ حينَ تُريحُونَ وَحينَ تَسْرَحُون وَتَحْملُ أَثْقَالَكُمْ إلَى بَلَد لَمْ تَكُونُوا بَالغيه إلَّا بشقِّ الْأَنفُس إنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوف رَحيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبغَالَ وَالْحَميرَ لتَرْكَبُوهَا وَزينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّه قَصْدُ السَّبيلِ وَمنْهَا جَائرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعين هُوَ الَّذي أَنزَلَ منْ السَّمَاء مَاءً لَكُمْ منْهُ شَرَابٌ وَمنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ يُنْبتُ لَكُمْ به الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمنْ كُلِّ الثَّمَرَات إنَّ في ذَلكَ لَآيَةً لقَوْم يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بأَمْره إنَّ في ذَلكَ لَآيَات لقَوْم يَعْقلُون وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ في الْأَرْض مُخْتَلفًا أَلْوَانُهُ إنَّ في ذَلكَ لَآيَةً لقَوْم يَذَّكَّرُون وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لتَأْكُلُوا منْهُ لَحْمًا طَريًّا وَتَسْتَخْرجُوا منْهُ حلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لتَأْكُلُوا منْهُ لَحْمًا طَريًّا وَتَسْتَخْرجُوا منْهُ حلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخرَ فيه وَلتَبْتَغُوا منْ فَضْله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون وَأَلْقَى في الْأَرْضِ رَوَاسيَ أَنْ تَميدَ بكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(سورة النحل / ٤–١٥)

إن مجرد التفكير في هذه الآيات وما فيها من ذكر لبعض أفضال الله علينا، يدفع الإنسان إلى إدراك مدى حب الله لعباده وإحسانه إليهم ورحمته بهم. هذا الرب الجليل الذي وهبنا الحياة وأدام لنا وهيأ الوسائل والأسباب للعيش على الأرض بتسخيرها لنا، وخلق لنا كل ما من شأنه إدخال البهجة والسرور والاطمئنان إلى أعماق نفوسنا وحواسنا. ألا يدفعنا كل هذا إلى التعلق بقوة إلى بحب هذا الخالق الكريم وإعلان طاعتنا له


وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ (سورة الأنعام ٩٧)


فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
(سورة الأنعام / ٩٦)



وإظهار الثناء والحمد له، والشكر على كرمه في كل آن وحين؟.

الله خالق الإنسان من العدم وواهب الحياة له

إن الإنسان حينما يفكر في وجوده من العدم، وبث الروح فيه وأطوار حياته منذ استقراره في رحم أمه ومن ثم خروجه إلى معترك هذه الحياة، ورعايته وحفظه لحين اعتماده على نفسه، يجد ويلمس آثار رحمة الله عليه، دلائل شفقته وعطفه. في سورة مريم يذكر الله عباده هذا الإعجاز ويطلب منهم أن يتفكروا مليا فيه:

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا ﴾

(سورة مريم / ٦٧)

ووضع الخالق العظيم الإنسان وهو في رحم أمه في قرار مكين أمين، حافظا إياه من كل احتمالات أن يأتيه أذى أو يصيبه ضرر، فهو في حفظه وصونه. وبعدما يخرج إلى الدنيا يجد أمامه حياة عامرة وأرضا وسماء وطبيعة، وظروفا قد هيئت وأعدت له مسبقا ومنذ مليارات من السنين. كل شيء جاهز له وبانتظاره، من الهواء الذي سوف يستنشقه وحليب أمه الذي سوف يغذيه ويربيه على أكمل وأفضل وجه.

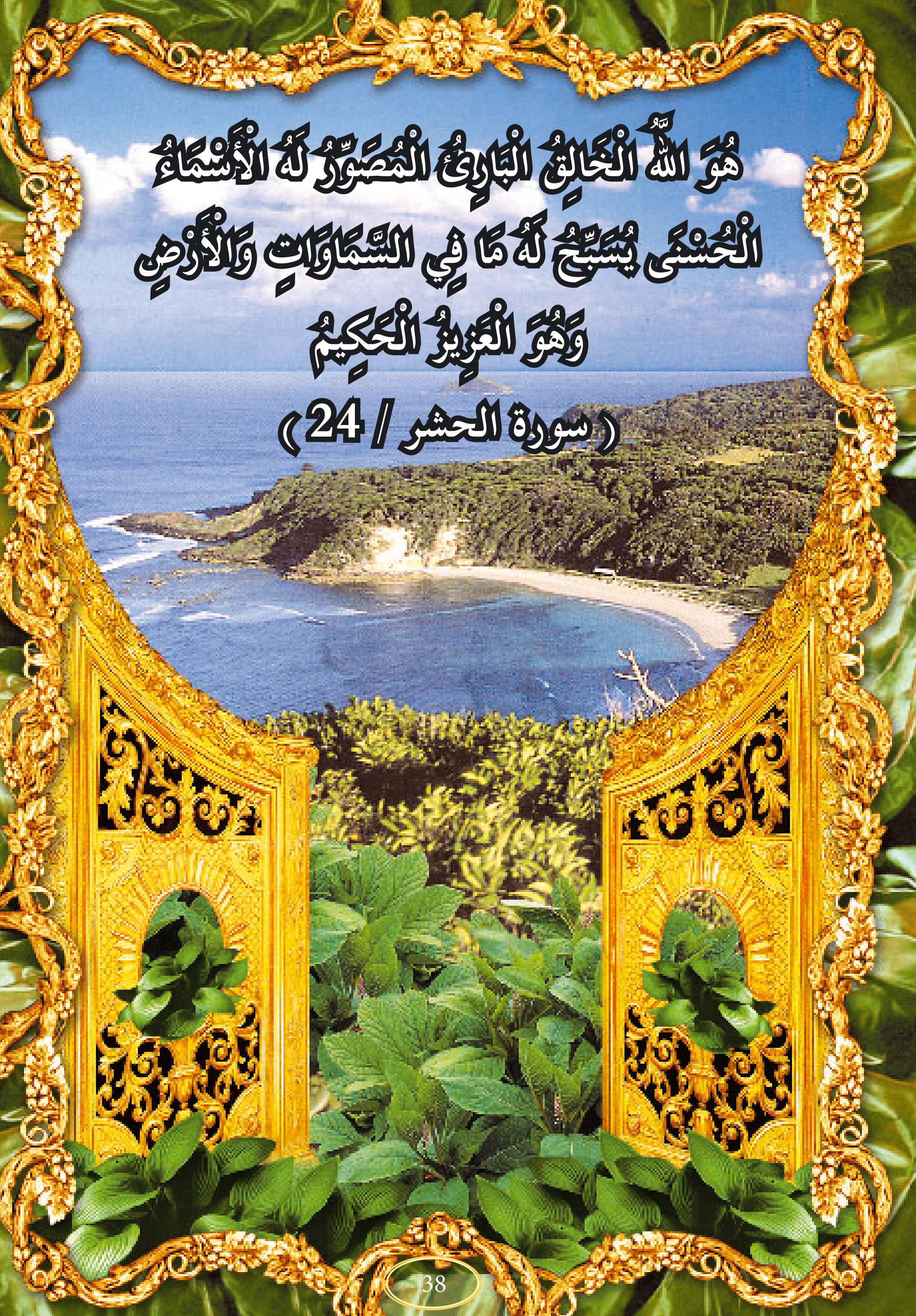
وهذا جسم الإنسان مصان ومحافظ عليه بصورة عجيبة لما أودعها الله فيه من وسائل الوقاية والمناعة الذاتية. إذا أخذنا القلب كمثال، نجده في نبض دائم لعنصر الحياة إلى الجسم، ويستمر بعمله المنظم المرتب دون أن يتدخل الإنسان في توجيهه أو التحكم به، ودون أن يبذل أدنى جهد أو طاقة إرادية لتحقيقه. لنتصور ماذا يحدث لو كان واجب القلب منوطاً توجهه وعمله بالإنسان. سوف يجعل ذلك الإنسان في دوامة من التفكير واتخاذ القرار والعمل المستمر مما يضع على كاهله عبئا ثقيلا



جدا، يمنعه عن النوم والراحة وحتى من الأكل والحركة، ويشل كل فعالياته وأفعاله. في حين أن الله تعالى شأنه أعطى أوامره إلى القلب أن يعمل بهذا النظام الصارم منذ أول لحظة من الحياة وإلى أن يدركه الموت.

وهكذا نجد أن القلب يستمر ويعمل وينبض الحياة بتوجيه وسيطرة من الله تعالى وطوال عمر الإنسان.

إذا ليس للإنسان السيطرة التامة حتى على جسمه الذي يدعى امتلاكه له. ذلكم هو الخالق الذي يتحكم في جميع أموره ابتداء من أبسط خلية في جسده. كما وليس للإنسان أي قدر من التدخل أو السيطرة في أمور كثيرة أخرى، مثل تدفق الدم، وضخ القلب لكميات محدودة ومعلومة منه في كل


هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(سورة الحشر / 24)

مرة، وعملية تخثر الدم ووقف نزيفه، وتنقيته ووجود عناصر المناعة فيه وعملها. ناهيك عن منظومة الأعصاب والأفعال اللا إرادية. إن الإنسان محتاج وفقير إلى ربه في جميع أموره، وهذه الآية تعكس هذه الحقيقة:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (سورة فاطر / ١٥)

"عندما تفيقون من نومكم صباح كل يوم، تجدون أمامكم حياة مهنية لكم ومستعدة ومجهزة بالتمام وبكل تفاصيلها وبشكل دقيق. تتنفسون بكل يسر وسهولة، وتبصرون كل هذه الأشكال والألوان عند أول ما تفتحون أجنانكم.

و أنتم تسمعون بوضوح الأصوات حولكم كل حين، وتشتمون الروائح الطيبة والعطور الذكية، وتقدرون على تناول طعامكم بيسر وسهولة. ولكنكم لا تعرفون ولا تشعرون كيف يعمل نظام المناعة داخل أجسامكم وكيف تقاومون الأمراض وتمنعون عناصرها من الجراثيم من تخريبكم من داخل أجسامكم. وأنتم لا تعرفون كيف تهضمون الطعام ولا وسائل استفادة أجسامكم من عناصر الحياة فيها، وليس لكم علم أو إدراك كيف يبصرون وترون الأشياء عندما تنظرون إليها بعيونكم، أما عمل الدفاع العجيب فليس لكم منه أي علم أو حتى مجرد تفكير في آلية عمله الرهيب.

نحن نتذكر حوادث وأمور حصلت لنا قبل العديد من السنين دون أن نبذل جهدا في حفظها أو إعادة تذكرها. والأهم من هذه كلها، بقاؤنا بحالة جيدة وبشكل حيوي وفعال في مثل هذا الجسم المحدد الذي يحتوي كل هذه التفاصيل المعقدة والعلاقات المتوازنة، من الأنظمة الحساسة المتشابكة والمحسوبة بدقة متناهية وتقدير يبلغ حد الكمال.

ذلك لأننا تحت سيطرة وتوجيه الخالق الباري الذي خلق وصور


وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
(العنكبوت / ٢٢)



وأحسن صورة. ألا يدفعنا كل هذا إلى التفكير مليا في آلاء الله وفضله علينا؟.

هذه الآية تصف الإعجاز العظيم في خلق الإنسان:

﴿ يَاأَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (سورة الانفطار / ٦ – ٨)

"و هكذا نجد أن الإنسان حينما يفكر في نفسه ووجوده يستطيع أن يجد من الأسباب والدلائل ما يجعله يقترب أكثر من ربه وخالقه ويزداد به تعلقا وحبا له. ونظرة سريعة إلى هذا الكون الفسيح اللامتناهي وما يحتويه من آيات الإعجاز، كلها تؤكد على عظمة فضل الله تعالى ومنته على خلقه، وعطاياه الكثيرة في هذا النظام المعجز الذي سخره لنا وهيئه لمنافعنا.

عندما يفكر الإنسان ويتعمق في إدراك هذه النعم التي أنعمها الله عليه، يقر ويعترف صاغرا أنه بحاجة إلى رحمة هذا الخالق المبدع فهو لا يستطيع حتى أخذ نفس من الهواء إذا أراد الله له غير ذلك، ويكتشف حين إذن أن الله هو



أقرب ولي ومعين وحام له. وهذه الحقيقة أوضحتها سور القرآن الكريم:

الجمال والخير في جميع ما خلقه الله

كل ما خلقه الله للإنسان وجميع أوامره وأحكامه، تجدها الأجمل والأكثر خيرا له لأنها صادرة من رب رحيم صاحب العدالة المطلقة. حتى في الحوادث التي تظهر وكأن فيها بعض الشك والشائبة والحيرة، لاشك وأن فيها الخير والفضل والحكمة. يقول تعالى في آية:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة / ٢١٦)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

(سورة الإنسان / ٣)

إن المؤمن يدرك هذه الحقيقة ويعيش فيها، ويتعامل مع أي حدث يقع له أو كلام وقول يسمعه بالرضا والقبول التام، ويتوجه إلى ربه ويشكره على ما منحه من نعم في الحياة، ويذكره بأسمائه الحسنى ويثني عليه ويحمده على تقديره وعطائه ءه الذي فيه



كل الخير والصلاح.

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (العنكبوت / ٢٢)

الله لا يثقل كاهل عباده بل يريد لهم اليسر

إن ربنا الرؤوف بعباده، دعا الناس إلى كل ما فيه اليسر والخير والجمال. حينما أرسل رسله وأنزل كتبه أراد لهم أن يعبدوه ويعرفوا طريقهم إليه بتعاليم بسيطة وعبادات ميسرة، لكل على قدر طاقته واستطاعته. ومن لا يقدر فأن أمامه الكثير من السعة والمجالات الفسيحة لنيل رضاه والوصول إلى محبته. وتؤكد العديد من آيات القرآن على أن الدين يسر وتكاليفه غير مرهقة:

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى سورة ﴾ (الأعلى/ ٨)

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (سورة الحج / ٧٨)

﴿ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً



لِمَنْ يَخْشَى ﴾ (سورة طه ١- ٣)

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة / ٢٦٨)

و تظهر رحمة الله وإحسانه إلى عباده في تيسير وتسهيل أحكامه وشرعه، فالدين يسر وما يطلبه من الناس في الحياة الدنيا غير مرهق وغير مكلف. ولقاء هذا التكليف البسيط والامتحان السهل وعدهم بجنات النعيم والخلود فيها في الآخرة إلى أبد الآبدين في حياة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أشكال النعيم والجمال والخير.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ(٢١)خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة (التوبة / ٢١- ٢٢)

إن الله غني عن العالمين، منزه عن كل نقص. أما الإنسان بحاجة إلى ربه ومعرفته وعبادته والتحلي بالخلق الذي يرضاه له. وليس في استطاعة أقوى الجبابرة أو أغنى الأقوياء من البشر الوقوف أمام عظمته وجبروته، فهو المالك والمهيمن على كل حي وجماد ومن في الأرض والكون وما فيهما، ولكنه يوعد عباده المتقين فهم والذين في قلوبهم الإيمان به ويعملون صالحات الأعمال، بمكافئتهم وتجزيتهم أحسن جزاء. وهذه أيضا من أدلة رحمة ربنا ومغفرته ورأفته بخلقه.


وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ
الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا
(سورة طه / ١١٣)

و من مظاهر رحمة ربك على العباد إرسال الرسل والأنبياء وتنزيل الكتب والأحكام لإخراجهم من الظلمات إلى النور والفلاح. وكتابه الجليل، القرآن العظيم، سراج وهاج ينير الدروب للبشرية نحو الرشاد والصلاح وإلى معرفة الخير وإتباعه، والشر لاجتنابه، ووضعهم على طريق الهدى والنور لتجنب سبل الضلالة والكفر. وهذا إلى جانب تفصيل الأحكام لهم وتعريفهم بواجباتهم وفروضهم الدينية، من العبادات والأعمال الصالحة، وتعليمهم أسس الأخلاق الحميدة وكيفية التصرف ضمن ما حدده الإيمان من حدود الحرام والحلال.

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف /٥٢)

والقرآن كتاب مصان بحفظ الله من كل خطأ أو تغيير أو زيادة أو نقصان فيه، ومنزه من أي تحريف، وسيبقى هكذا إلى يوم القيامة دليلا ومرشدا للناس أجمعين. إنها فضل ونعمة كبرى من الله تعالى.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر /٩)

﴿ "وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل / ٨٩)

وعلى مر تاريخ البشرية، أرسل الله العديد من الرسل والأنبياء الكرام، اختارهم من أفاضل الناس خلقا واستقامة ومن أهل الرشاد والتقوى والثقة. وقام هؤلاء بدعوة الناس إلى معرفة الله والاعتراف بألوهيته وتوحيده وتنزيهه، ولاقوا في سبيل نشر دعوتهم شتى أنواع العذاب والأذى وحتى القتل. ولم يمنعهم كل هذا من الجهاد والكفاح والعمل الدؤوب في سبيل إعلاء كلمة الحق على الأرض.

من ميزات وخصائص هؤلاء الرسل كونهم جميعا ذوي تقوى ورحمة ورأفة بالمؤمنين من أتباعهم والحرص على لم شملهم والدفاع

عنهم. كما يتمتعون جميعهم بالفكر الوقاد والذكاء الخارق والاستعداد للتضحية والفداء والصبر والجلد. إنه لطف كبير من الله أن يكون رسله وأنبياؤه على هذه الصفات الراقية والخلق القويم.

و من مظاهر حرص الله على عباده ولطفه بهم أن أرسل هؤلاء الرسل ومعهم أحكام وآيات الحكمة ليخرجهم إلى النور من الضلالة التي هم فيه، ويرشدهم إلى سبل الرشاد واليسر. وهكذا مضت سنة الله في خلقه وتوالى الرسل والأنبياء بدعوة الخير وجمع الناس تحت لواء الإيمان وتوجيههم إلى رحمة ربهم، والفوز برضاه ونيل المكافأة المجزية الموعودة لهم، ألا وهي جنات الخلد في حياتهم الأخرى. إنه الله الرحمن ذو الرحمة، واهب الفضل والبركة، الرؤوف بعباده واللطيف بهم. وما أحرى بكل ذي عقل وضمير أن يعترف بفضل ربه عليه، ويشكره ويحمده، مسلما أموره إليه، متوسلا قبوله مع الذين أحبهم ويحبونه من عباده الصالحين.

الله يقبل توبة النادمين ويعفو عن خطاياهم

إن الله عفو يحب العفو. وفي أي كريمة تتجلى هذه الحقيقة:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة النحل / ٦١)

و الفرصة سانحة وفي كل لحظة، الآن وأنتم تقرأون هذا الكتاب تستطيعون أن تتوجهوا بقلوب صافية مخلصة تطلبون العفو والغفران من الله، وهي فرصة كبيرة، للصغير والكبير، والمؤمنين منهم خاصة أن يطلبوا قبول التوبة والندم على ما كسبت أيديهم من الصغائر والكبائر آملين رحمته ومغفرته وعفوه، متضرعين إليه بقلوب صادقة ونيات مخلصة نقية.



﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة النور / ١٠)

"إن أمل الخلاص للإنسان موجود دائما، لأن الرب عفو كريم، وقبول التوبة والدخول إلى رحاب رحمة الله يفتح أمام البشرية أبواب واسعة من التفاؤل، ويجعل الإنسان كائنا يملؤه التفاؤل. أما الذين ينسون الله ويصرون على الكفر والنكران، ويعيشون حياتهم في فراغ إيماني رهيب، فأنهم حقا في عالم الضلالة والغفلة والظلام، لا تشملهم رحمة الله في دنياهم، ومصيرهم ومأواهم نار جهنم في الحياة الأخرى، وساءت مصيراً.

إن الله في عون السالكين سبيله، وحافظهم.

المؤمن الذي يمنح الله تعالى محبته ويتوجه إليه بقلب صادق، ويسلم أموره إليه ويسلك السبيل التي اختارها للبشرية، يشعر دائما


قَدْ كَانَ لَكُمْ أي فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ
الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَار
(سورة آل عمران / ١٣)


"إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُسورة
(المؤمن / ٥١)



بأن الله معه، يحفظه ويتولى أمره، وأنه يفتح لهم طرق الأمان ويسهل عليهم وييسر شؤونهم طالما هم متمسكون بما أحله الله ويتجنبون ما حرمه، ويمتنعون عن نواهيه. وفي آيات كثيرة في القرآن، يعد الله عباده المؤمنين بأنه قريب منهم وهو معهم ولن يبخسهم أعمالهم، بل يرفع من شأنهم وينصرهم ويكون وليهم. يقول تعالى في آية

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الروم / ٤٧)

و لعل في حياة نبي الله موسى (ع) خير مثال على ما تحقق من وعد الله بالنصر. فحينما هاجر خائفا على حياته من مدينته التجأ إلى ربه:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (سورة القصص / ٢٤)

داعيا متضرعا طالبا عونه وتأييده. وكان الله سريع الإجابة لدعائه فألتقى بقومه من المؤمنين هيئوا له فرصة البقاء والعمل معهم. حين كلف الله موسى (ع) بالرسالة، توسل إليه أن يسانده ويدعمه بأخيه هرون(ع)، وكان له ما أراد. ثم نصره الله عندما طارده جيش فرعون وكادوا أن يلحقوا به، فشق البحر لموسى(ع) وأتباعه فعبروا، وأغرق فرعون وجنوده لما طغى عليهم أمواج البحر كالجبال. وقد وردت حادثة عبور موسى وهرون(عليهما السلام) وأتباعهما في سو ر ة الصافات:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُون وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمْ



الْغَالِبِينَ ﴾ (سورة الصافات / ١١٤-١١٦)

"و نَبي الله نوح (ع) أيضا نصره الله على قومه الكافرين بإنقاذه من الطوفان الذي طغى على الأرض وقضى على ما فيها. إذ أوحى إليه ربه بصنع السفينة، ومن حمله معهم أنقذهم إلى بر الأمان. وأنقذ الله رسوله عيسى(ع) عندما أرادوا صلبه، ورفعه إليه. وأخرج يوسف (ع) من السجن وأجلسه سدة الحكم والمقام الرفيع. ولله سبحانه الفضل العظيم على رسولنا محمد (ص)، حين نصره وأيده وأعزه بالإسلام والفتح المبين، وكان وعده للمؤمنين بالنصر والعون رحمة وبردا وسلاما على قلوب المؤمنين معه، وازدادوا اطمئنانا وثقة بظهور دينهم.

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب / ١٧)

إن الإنسان بحاجة إلى ربه دائما وأبدا، وليس له من دونه من وليّ أو معين أو نصير. فهو الذي يلبي دعاءه عند الضيق ويفرج عنه الكرب وينعم عليه بالفضل والكرم ويرفع عنه البلاء والمحن ويفتح عليه أبواب الرحمة والفرج. والإنسان حين يتمتع بكل هذه النعم لا يجب أن ينسى



أن الله وحده هو الذي هيأها له. ومن الخطأ أن يظن أو يتصور أن غيره قام أو ساهم في الإيفاء بها. فإذا لجأ إلى طبيب يطلب منه الشفاء من مرض عضال أصابه، وما الطبيب والأدوية إلا وسائل الشفاء التي يأتي من عند الله. وهكذا من يوكل عنه محاميا للدفاع عنه في قضيته، يجب أن لا ينسى أن الله هو وكيله الحقيقي، وما المحامي إلا وسيلة تنفيذ إرادة الرب في إحقاق حقوقه، وتطبيق العدالة. فالله تعالى هو من يوجه الأمور ويحدد نتائجها بأحسن شكل وأجمل وجه. وهذه نعمة بالغة وفضل عظيم من الله.

"إن من يتوكل على الله وينيط به جميع أموره وشؤونه سيجد الله أفضل معين ووليّ له. فهو الذي ينعم على من يشاء من المؤمنين بالعون والتأييد. ومن يدرك هذه الحقيقة لا يحتاج أن يلجأ إلى أحد أو يتوسل بأحد غير الله. لأنه يعلم يقينا أن ربه هو الملجأ الوحيد. وسوف يشكره عندما ينجح ويفوز، ويحمده حينما يتخلص من ضيق أو مشكلة، وهو دائم الذكر له والثناء عليه ويزداد حبا وتعلقا بربه فيسلم إليه أموره طوال حياته وهو واثق ومطمئن من خواتم أعماله. وفي الآية الآتية تعبير واضح

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

(سورة آل عمران / ١٢٦)



وصريح لحال المؤمن الذي يكون الله وليه:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ أي أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (سورة البقرة ١٠٦-١٠٧)

الله مجيب الدعاء

ليس للإنسان قدرة ذاتية خاصة به. ولذلك فهو بحاجة إلى كل يوم وساعة إلى الاستعانة بربه وقدرته العظمى، وإلى طلب رحمته وعونه ولطفه، كما أنه يحتاج حتما إلى أن يكون الله معه. وقد بشر الله تعالى عباده أن رحمته قريبة منهم إذا دعوا ربهم وتضرعوا إليه واستغاثوا به طالبين نجدته وفرجه.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا **﴿ دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾** (سورة البقرة /١٨٦)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (سورة المؤمن / ٦٠)



إنها لنعمة وفضل كبير من الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض وما في الكون الفسيح، الحاكم الوحيد والمدبر الحكيم لكل ما فيه من كائنات وموجودات من الأحياء والجماد، أن يسمع استغاثة عبده ويسارع إلى استجابة دعواته ونجدته وعونه.

إن الإنسان يستطيع أن يدعوا ربه طالبا منه ما شاء إلا ما يخرج عن حدود الحلال ويدخل في دائرة الحرام. وفي سور القرآن آيات كثيرة وأمثلة لاستجابة الله لدعوات رسله وأنبيائه:

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُون وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴾ (سورة الصافات / ٧٥-٧٧)

"إن استجابة الله للدعوات ليست للأنبياء والرسل دون غيرهم. وإنما لعموم عباد الله من المتقين والصالحين وحتى للعاصين إذا استغفروا. هذه الآية من سورة النمل تأكيد على هذه الحقيقة:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النمل /٦٢)

و يا له من فرح كبير وغبطة أن يرى العبد استجابة ربه لدعائه، حيث يشعر بتيقن أن الله قريب منه وهو معه يراه ويسمعه ويعلم حتى ما قد خطر بباله ويجول بخاطره. وتزداد ثقته واطمئنانه على نفسه لتيقنه أن مولاه لن يتركه عند أوقات الضيق وساعات الحرج، ينتظر منه العون والمدد أملا في المزيد من الفضل والكرم، وهذه عوامل تدفعه بشوق كبير إلى التقرب من خالقه، وتقوي من محبته له وتسليمه أموره إليه صاغرا وراضيا.



الله هو العدل المطلق

يصادف الإنسان في حياته الكثير من الحالات التي تبدوا وكأنها لا تتسم بالعدالة في القرار أو الإجراء. فمنهم من لا يعدل في تجارته وأعماله، أو في شهادته وحكمه وقراره. جاعلا من مصلحته الخاصة ومنافعه الذاتية الهدف الأول، مبعدا عن ضميره ووجدانه مفهوم العدالة. في حين أن العدالة هي الشاهد الأول على حسن الأخلاق والشخصية المستقيمة لأي فرد. فالمجتمعات البشرية تنظر بمنتهى الاحترام والتقدير لمن يتمتع بهذه الصفات الفاضلة. بل ويكسب حب واعتراف حتى خصومه ومن هم ليسوا على فكره ومعتقداته، ويتجاوز الأمر إلى



"ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

(سورة الأعراف / ٥٥-٥٦)



النظر إليه كعنوان للبطولة والشهامة.

إن الله تعالى هو تمام وكمال العدالة. تتجلى في أحكامه العادلة حكمته، وتنعكس ذلك على عباده ومخلوقاته. فالإنسان لقي ووجد ما يستحقه بحق، وهو لا يزال كذلك وسوف يبقى يلقى بدون تقصير أو نقص مقابل أعماله وأفعاله بكل عدالة وقسط. الآية التالية توضح كيف أن الإنسان يلقى نتائج أعماله يوم القيامة بكل عدالة وبميزان الحق والقسطاس المستقيم.

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

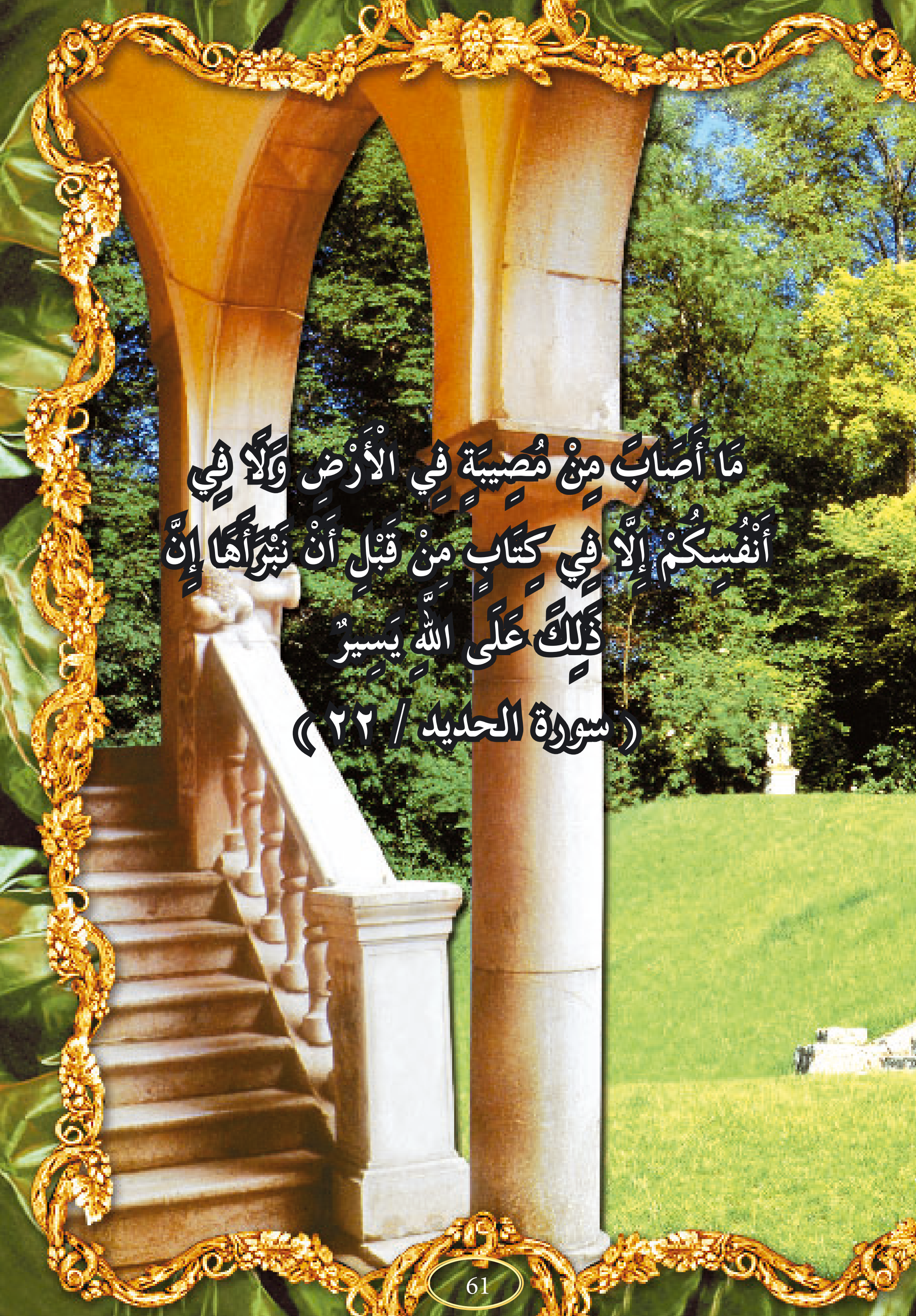
سورة ﴾ (الإسراء / ٧١)

﴿ "قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة سبأ / ٢٦)

"و من المؤكد أن المؤمن يزداد اقترابا ومحبة وارتباطا بخالقه حينما يؤمن ويعتقد جازما بعدالة الله المطلقة، وحينذاك يسلمه أموره جميعا وهو مطمئن ومرتاح النفس والضمير. وهو واثق كذلك أن العدالة الإلهية تظهر وتحكم في جميع ما سوف يصادفه أو يتوقعه أو يمر به في حياته، ومن ثم يتقبل راضيا نتائج الأحداث بكل سرور.




هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير
(سورة الحديد / ٤)


مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
(سورة الحديد / ٢٢)


محبة الله
وخشية الله متلازمتان



يعتقد البعض أن التمسك بحب الله
لوحده هو الذي يوصلهم إلى طريق الإسلام والتحلي
بالأخلاق والآداب الربانية وكسب رضا الله عنهم. غير إن
الله تعالى يذكر في القرآن أن المؤمنين الصالحين المتقين يخشون
ربهم بكل جوارحهم وحركاتهم وسكناتهم، وبقلوب وجلة خائفة،
وفي نفس الوقت فهم منغمسون في محبة الله وطلب التقرب منه بكل شوق
ووجد. وأصحاب الإيمان من الذين يعرفون قدرة الله تعالى، يشعرون بهذه
العظمة والجلال الرباني ويبدون تجاهها الخشوع والخشية والرهبة. وإذا ما
تمسك هؤلاء بحدود الله وتعاليمه، فأن الله يهبهم ما يستحقونه من قوة الإيمان
والقدرة على مواجهة الأزمات والتفريق بين الخير والشر، والصلاح والظلال
والصواب والخطأ.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(سورة الأنفال / ٢٩)

"إن المؤمن الذي يتقي الله ويخشاه لا يكذب أبدا
حتى وإن تأثرت مصالحه ومنافعه، وهو يخشى أن
يخسر رضا الله وحرمانه من نعم إذا ما
تصرف بسوء، وهذا

يدفعه إلى مزيد من الاستقامة والحق. ويبادر مسرعا إلى التوبة والاستغفار عازما على عدم العودة إذا بدر منه أي خطأ أو خلل. وهذا المؤمن لا يمكن أن يتوقع منه أحد أن يمد يده إلى حرام أو أن يلجأ إلى الكسب غير المشروع حتى وإن وقع في أوضاع حياتية بائسة قاسية. وخشية الله تلجمه من الوقوع في الزلل.

إن الإنسان الذي ليس في قلبه خشية الله، له حدود ضيقة يتحرك



ضمنها بعدالة ونزاهة واستقامة، ولكنه لا يمانع في تجاوزها لمحدودية قدرته على المقاومة والتحمل. أما المؤمن المتقي الذي ترسخت في قلبه خشية الله، فإن حدود هذا التحمل ومقاومة المغريات أو الضغوط التي يتعرض لها، كبيرة جدا وواسعة. ويتمسك بسلوك السائرين في سبيل الله القويم، وهو يعتمد أيضا على ربه في مواجهة المصاعب والخطوب، ويتضرع إليه داعيا وطالبا مخرجا سهلا وفرجا قريبا مما هو فيه، ويتوكل على ربه حق توكله.





إن الله يحب عباده ويرأف بهم، ويخلق لهم كل ما هو جميل وحسن ولطيف. عطاياه كثيرة وبدون مقابل أو بدل. وليس ببعيد عن رحمته إلا المشركون والمنكرون له. ولأنه صاحب العدالة المطلقة، فهو ينشر رحمته على من يتوجه إليه بقلب خاشعة ينصره في الحياة الدنيا ويكافئه بالنعيم في الآخرة. أما الكافر بنعمه والناكر لفضله وبربويته فليس له إلا الجحيم والعذاب الأبدي.

من يؤمن بعظمة وجلال الخالق وقدرته المطلقة غير المحددة بحدود يخشع قلبه وجوارحه لذكر الله في كل لحظة من حياته، وتأخذه الرهبة عند تذكر عذاب الآخرة عقابا لمن عصا وتجبر. وهذه الخشية والخشوع يظهران فيما يقوم به من أعمال وأفعال وتصرفات وتحاشيه الوقوع في النواهي والمعاصي. ومن جهة أخرى، ولأنه كان الإيمان بعفوه ومغفرته ولخشوع قلبه وتعلقه بالحب الشديد بربه، واعتقاده باستجابته للتائب والنادم، فأنه يطمح في نيل رضاه وما وعد عباده من نعيم الجنات في الآخرة. هذه الأخلاق الإيمانية تبينها الآيات القرآنية:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران / ١٠٢)

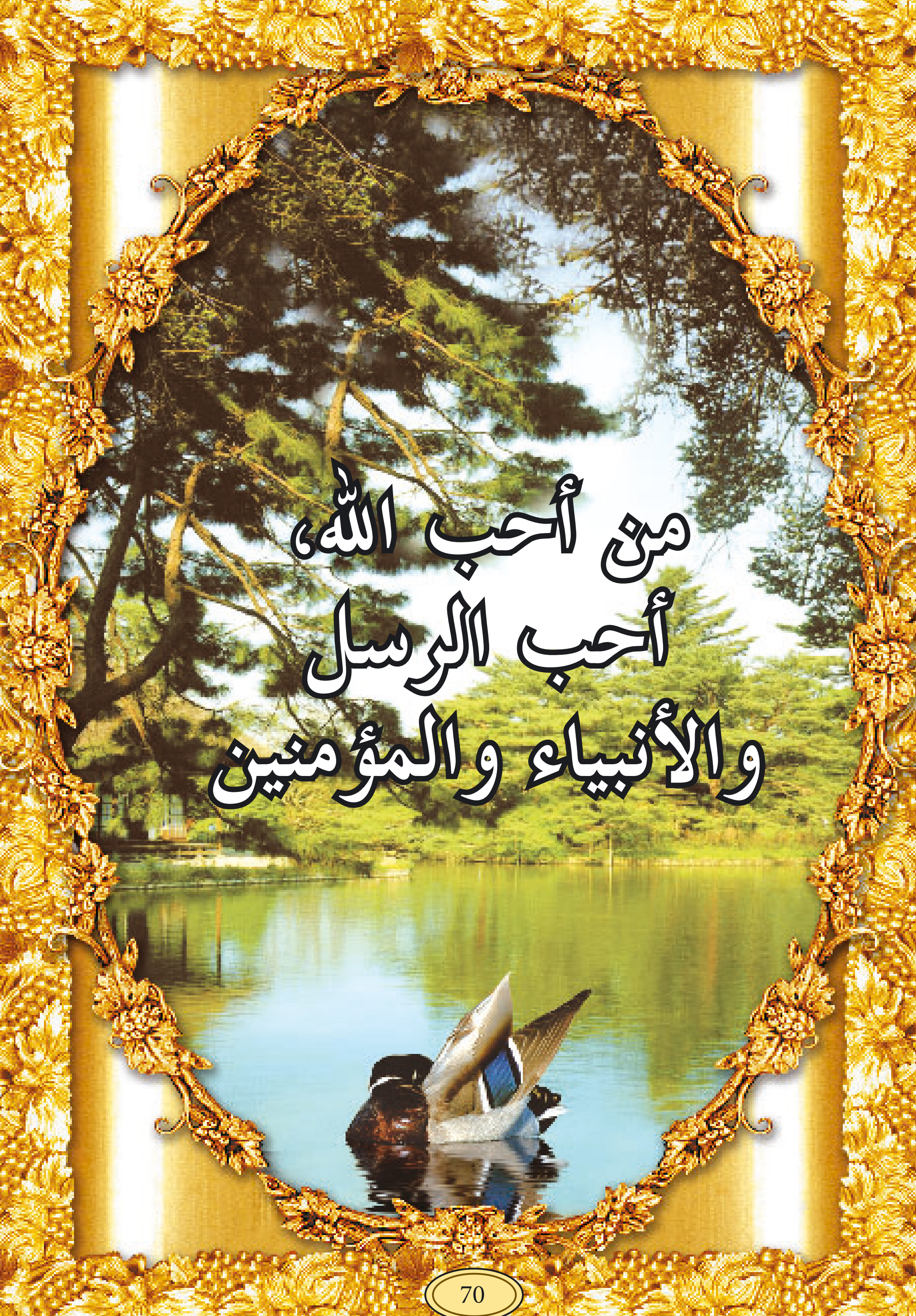
"و من يرتبط بربه بالحب، يتصرف في حياته بما يؤمن له كسب رضا الله، ويتحاشى الوقوع فيما يؤدي به إلى الخسران واستحقاق غضب الله وسخطه وعقابه الشديد. يبشر الله هؤلاء المؤمنين في قرانه:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء / ١٩)






ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ
(سورة الملك / ٤)


من أحب الله،
أحب الرسل
والأنبياء والمؤمنين



إن المؤمنين الذين يرتبطون برباط
حب وتعلق وثيق بالله تعالى، يحبون كآفة ما خلقه
الله ويجدون في كل مخلوق مظهرا لصفات الله الحسنى.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَسورة ﴾ (المائدة/٥٥)

"هذه الآية تؤكد أن المؤمن الصادق يشعر بحب عميق وصادق
واحترام وتقدير لائق لجميع الرسل والأنبياء المرسلين لأرشاد البشر إلى سبيل
الرشاد والهدى، وأيضا للمؤمنين الصالحين من عباده. إن الأنبياء عباد صالحون
أختارهم الله لمزاياهم وصفاتهم العالية التي تجعلهم نماذج وقدوة للناس ليتشبهوا
بهم في التقوى والإيمان العميق.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب/ ٢١)

"و رسولنا محمد (ص) كان أحسن مثال وخير قدوة حسنة
في كل ما قام به من أفعال ونطق به من أقوال خلال حياته
الشريفة. إيمانه الكامل والعميق بالله وتقواه وحبه الشديد
لربه وخشيته، مع صبره وشفقته ورحمته بمن
تبعه، وشيمه الفاضلة وآدابه



السامية نبراس ينير الدروب لمن يدخل نفسه في زمرة المسلمين.

يحدثنا رسولنا الكريم (ص) عن حب الله وحب رسوله والمؤمنين فيقول في أحاديث منها:

(**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما".**)و قال (ص) أيضا(**عندما سئل يا رسول الله ما هو الإيمان؟. قال " أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما".**)و عن أنس (رض) قال، قال رسول الله (ص)" **ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا الله، ومن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى إلى النار.**" [1]

إن جميع رسل الله وأنبياءه أختارهم الله لعلوا أخلاقهم ولصفاتهم الحميدة، وقد ذكرهم في القرآن مادحا لهم وواصفا مزاياهم العالية ومثنيا عليهم أحسن ثناء باعتبارهم قدوة للبشر. فالأنبياء والرسل الكرام مثل سيدنا محمد(ص) وسادتنا موسى وعيسى وإبراهيم وهارون ويحيى ويوسف ويونس ويعقوب وإسماعيل وسليمان وداود عليهم سلام الله أجمعين، وغيرهم من الأنبياء امتازوا بإيمانهم الخالص والعميق بالله تعالى وتقواهم وخشيتهم البالغة منه، وعرفوا مكانتهم وسمو أخلاقهم وكانوا قدوة ونماذج يحتذى بهم للبشر عامة. والمؤمنون السائرون في طريقهم يسعون ويجاهدون للاقتداء بهم، متخذين من القرآن دليلا ومرشدا للوصول إلى ما وصلوا إليه من الحب الإلهي ويتسابقون في عمل الخيرات والصالحات من الأعمال ليستحقوا رحمة الله، وليكونوا في جنات الخلد مع الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

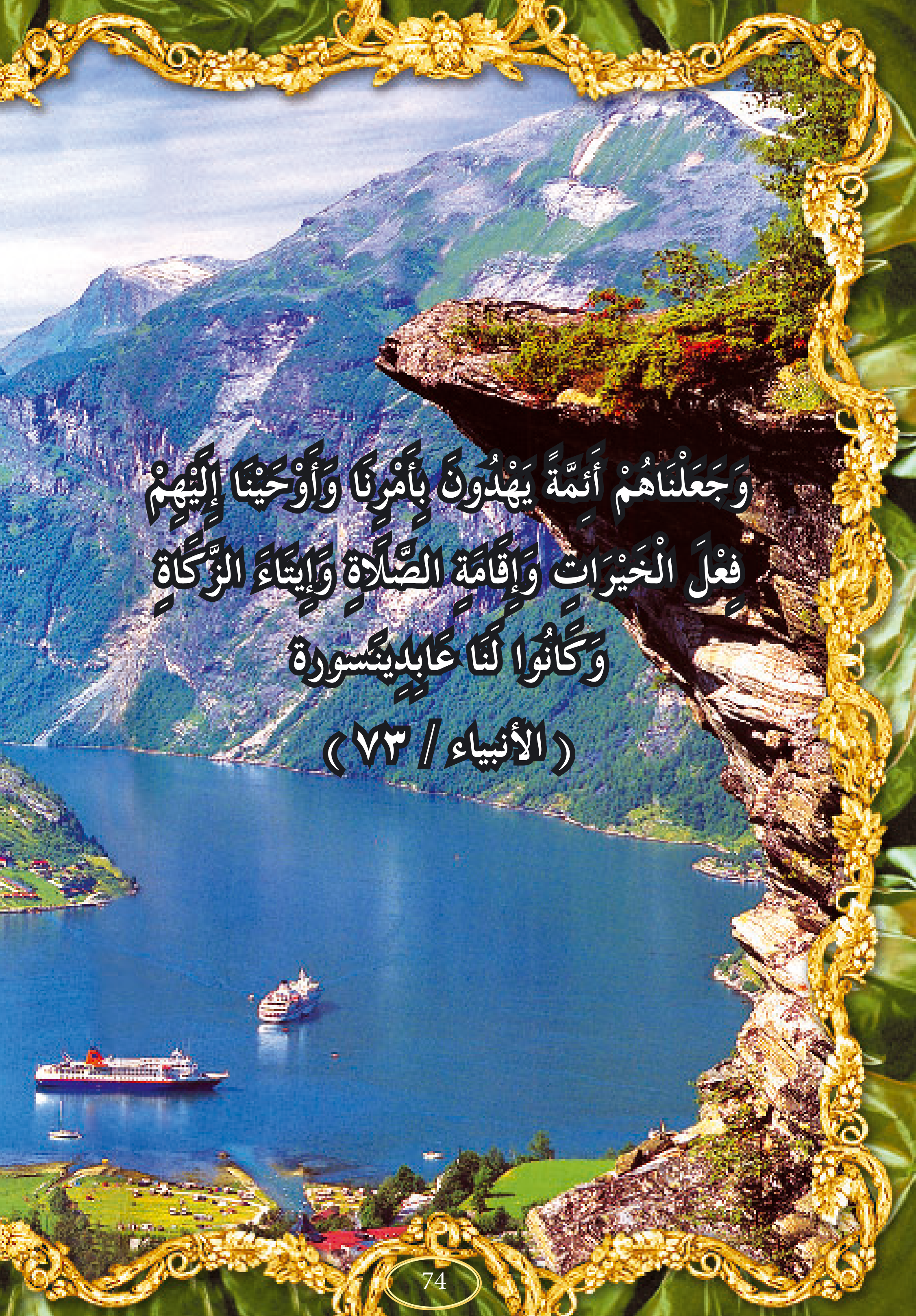
هذا الحب العميق الذي يحسه ويشعر به المؤمن تجاه رسل الله يظهر

مدى ما يكنه من تعلق وحب لذات الله تعالى. كما وأن حب المؤمن لغيره من المؤمنين، نتيجة طبيعية لأخلاقه العالية وإيمانه وتقواه، ولو لم يكن رآه أو شاهده أو التقى به. وكذلك هو حب المؤمنين هم للرسل والأنبياء الذين لم يلتقوا بهم أو يروهم أو يكونوا معهم. آيات كثيرة في القرآن تتحدث عن الرسل وما قاموا به من جهاد وكفاح كبير في سبيل تبليغ رسالة الله دعوته، وما بذلوه من حب ورأفة وشفقة بالمؤمنين، هذه الآيات الكريمة تدفع المؤمنين إلى الشوق والتعلق أكثر بهؤلاء الرسل والأنبياء، وتزيد من حبهم لهم. والمؤمنون يذكرونهم باحترام ومحبة وتقدير جاعلين منهم أمثلة ونماذج إنسانية كاملة، ويتذكرون دائما عظمة مقامهم وفضائل صفاتهم وأخلاقهم، محاولين الاهتداء بهديهم والسير على طريقهم. ويصل هذا الحب والتقدير إلى درجة تفضيلهم حتى على أنفسهم أهليهم

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الأحزاب / ٦)

"و هذه بعض الآيات من القرآن الكريم تؤكد على ميزات وخصائص الأنبياء والرسل الكرام وتذكرهم بكل خير ومحبة وتشير إلى علو شأنهم:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ


وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ
فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَسورة
(الأنبياء / ٧٣)


لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
(سورة آل عمرا / ١٦٤)



لنَفْسه مُبينٌ ﴾ (سورة الصافات /١٠٨-١١٣)

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُون إِنَّا كَذَلِك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الصافات /١١٩ - ١٢٢)

﴿ "إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينوَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينإِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَسورة ﴾

(الصافات /١٢٣-١٢٩-١٣٢)

﴿ رَبَّهُ بِقَلْب سَلِيم إِذْ قَالَ لِأَبِيه وَقَوْمِه مَاذَا تَعْبُدُون أَئِفْكًا آلِهَةً دُون اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة الصافات /٨٤ -٨٧)

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة الصافات /١٨١ - ١٨٢)

إن الأنبياء والرسل هم أكرم الناس وأقرب المؤمنين إليه تعالى، وأحب الناس عند الله وأحبهم إلى المؤمنين، كما هو واجب عليهم المضي في طريقهم والاقتداء بهم والتشبه بأخلاقهم وسيرهم بحرص ورغبة وإخلاص.

من أحب الله، أحب أحباءه المؤمنين

من البديهي والمسلم به أن من أحب الله تعالى وأخلص له، لا بد أن يشعر بالحب والمودة لمن يحبه الله أيضا. فأصحاب الله أصحابه، ومن يرضى عنه الله يرضى هو عنهم، لأنهم عباده الصالحين الذين يسلكون



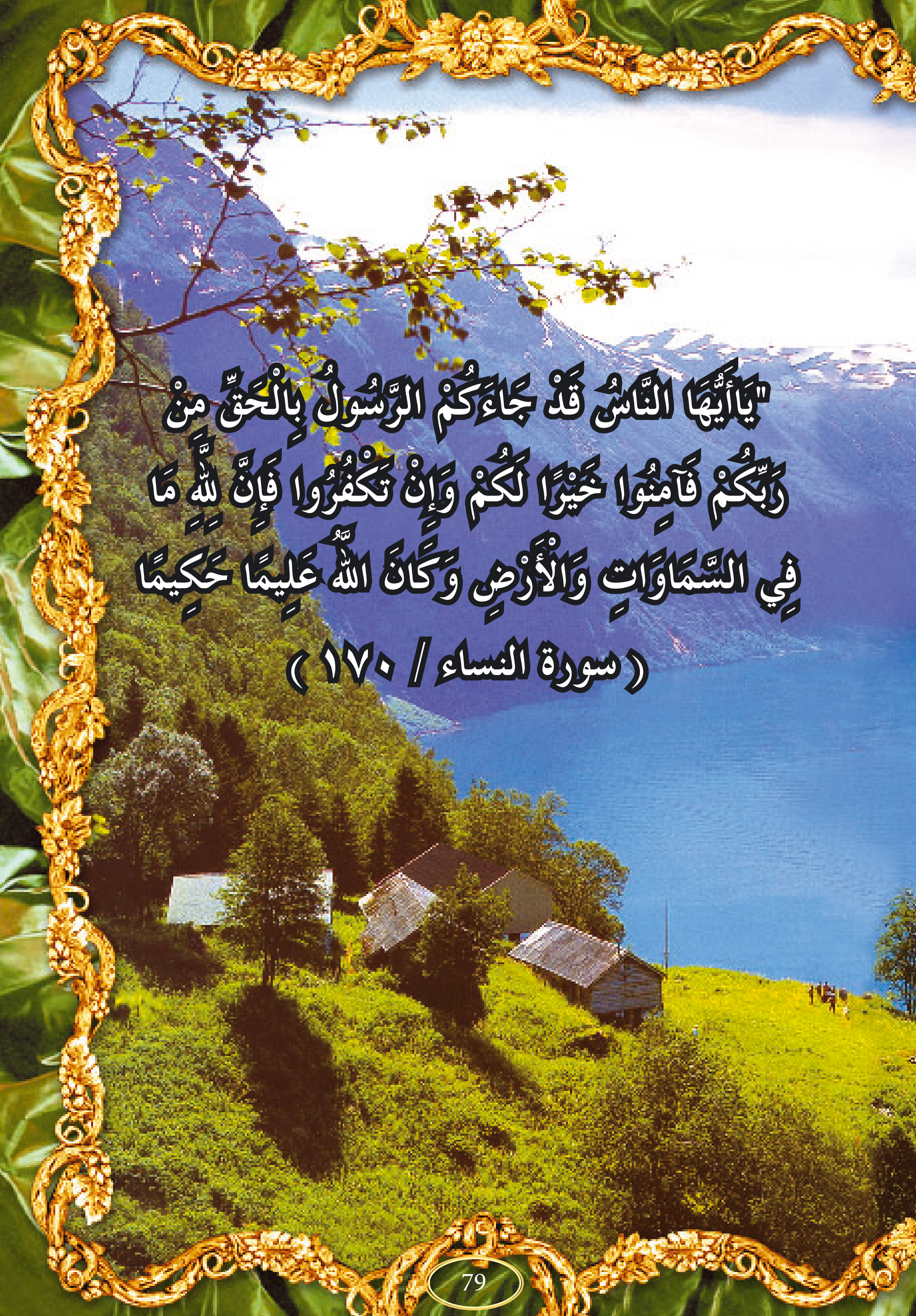
سبيله. فالأولى أن يحب المؤمن أخوته المؤمنين ويتعلق بهم قلبا وقالبا وشعورا. وتورد آيات القرآن مدى حب المؤمنين لبعضهم، ومظاهر الشفقة والعطف والرحمة التي تتحكم وتوجه أفعالهم.

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف / ٢٨)

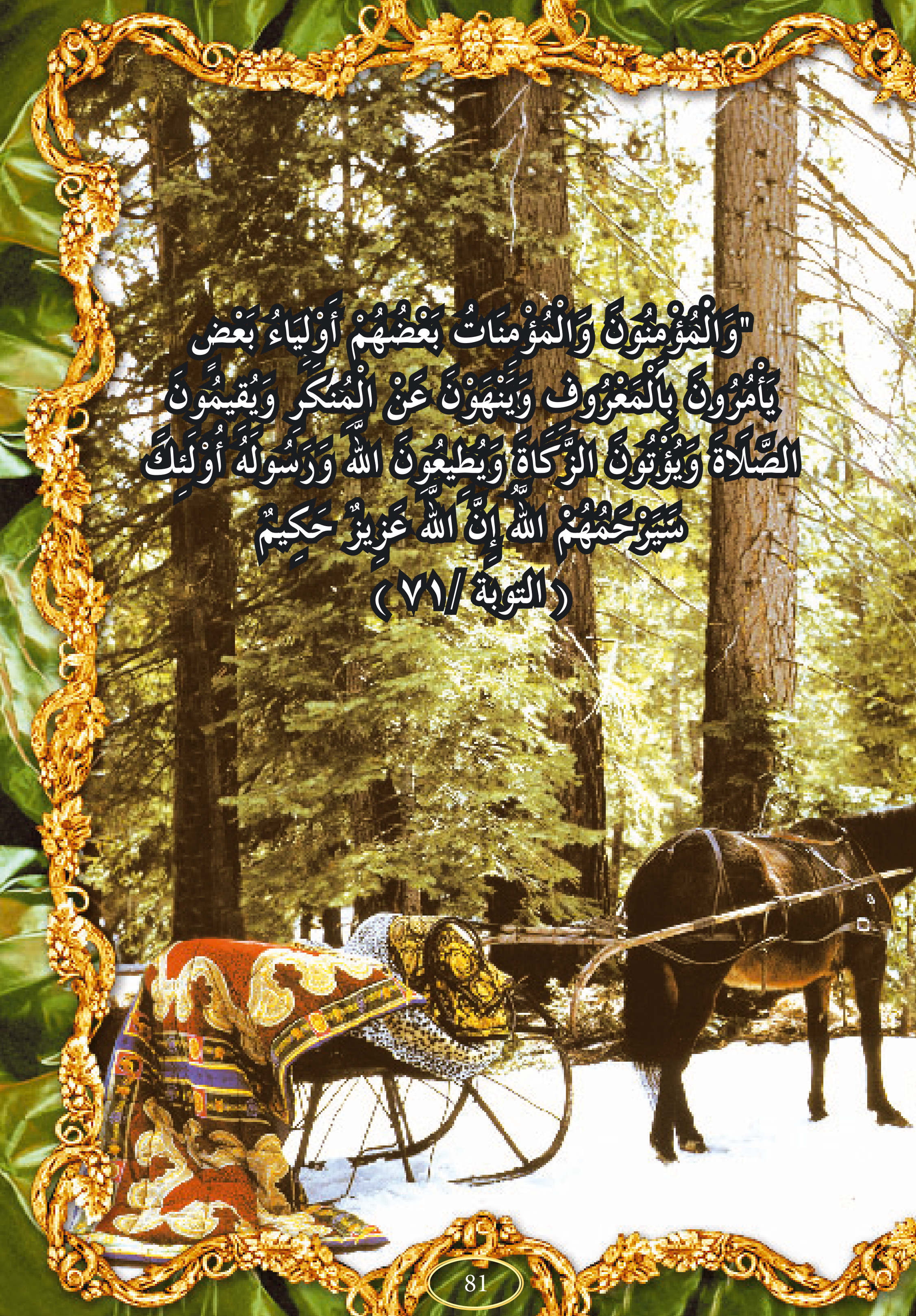
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران١٠٣)

﴿ "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (الصف /٤)


"رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا
(سورة الطلاق / ١١)


"يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
(سورة النساء / ١٧٠)


"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا
مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ
اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(الأنفال / ٧٢)


"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمْ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(التوبة /٧١)


أقوال النبي في
الحث على المحبة



عن إقدام بن كعب (رض)،

يقول رسول الله (ص):

"إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه." ٢

و عن عطاء (رض) يقول رسول الله (ص)

" تزاوروا وتهادوا فأن الزيارة تثبت الود وأن الهدية تسل السخيمة." ٣

" تهادوا الطعام بينكم فأن ذلك توسعة في أرزاقكم" ٤

" إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويألفون، وإن أبغظكم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان." ٥

" مثل الأخوين إذا التيقيا مثل اليدين تغسل أحدهما الأخرى."٦

" لا تدابروا ولا تباغظوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا". ٧

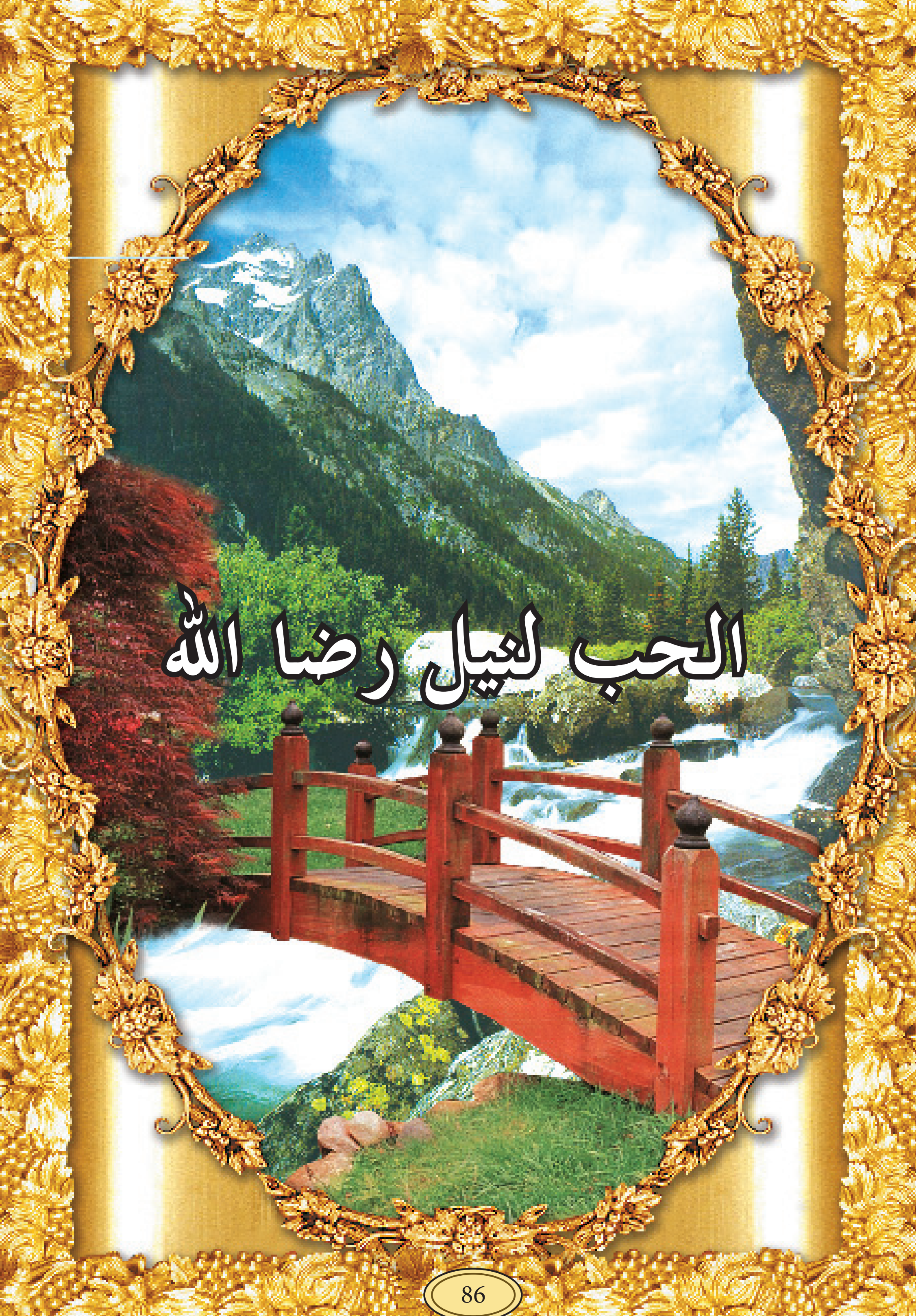
" أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لله تعالى" ٨

" ..... ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله... ومن أكثر ذكر الله أحبه الله." ٩


"وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌسورة
(البقرة / ٢٣١)



"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ
(سورة لقمان / ٢٠)



الحب لنيل رضا الله



إن المؤمنين الذين يبغون في حياتهم الدنيا إرضاء الله ونيل رحمته وعفوه، وكسب نعيم الآخرة، والذين يتعلق قلوبهم بحب الله وألسنتهم بذكره، هؤلاء يعيشون ويحيون لله تعالى:

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (سورة الأنعام/٦٢)

هذه الآية تأكيد صريح أن المؤمن هو من تكون غاياته وأهدافه كسب رضا الله عنه. ومن يكون هذه أهدافه لابد أن يكون حبه أيضا لله، ولابد كذلك أن يكون هذا الحب من القوة والمتانة ما يليق بهذا المقام ولا يمكن قياسه أو مقارنته بأي حب مهما كان نوعه أو غايته. كيف لا والمؤمن دائم التفكير في ربه وما خلقه من نعم وآلاء وقدرته وسطوته على المخلوقات. حياته وعيشته مع الله وفي سبيل إرضاءه واتقاء غضبه.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة/١٦٥)



ذن هناك الحب الذي يبديه بعض الناس لمخلوقات أكثر من مقدار حبهم لله (حاشا لله) وهؤلاء مشركون بربهم يجعلون له أندادا. أما المؤمنون فأنهم يدركون أن لا قوة ولا قدرة ولا خير أو جمال أو حسن في أي كائن مخلوق لذاته. وأن هذه المخلوقات من أحياء وجماد مع ما هم عليه من حال أو ما هم فيه، إنما ملك الخالق الذي أوجدهم من العدم. إذ ليس بمقدور كائن ما كان حيا أو جمادا أن يخطط ويصمم وينفذ ما هو عليه من إبداع أو حتى يتدخل فيه. إن جمال أي إنسان أو جاذبية أي حيوان له عمر ووقت محدود معلوم، يتعرض خلاله إلى التقادم والتغيير ثم الفناء إذا ما جاء أجله بأذن الله. فكل جمال أو حسن هو تحت حكم وسيطرة الله. لذلك فعندما يحب المؤمن الأشياء الجميلة أو أيا من خلق الله، فهو نتيجة طبيعية لإيمانه واعتقاده بأنها جميعا من صنع خالق مبدع ومقتدر، فيتوجه إليه بحبه وإعجابه ويزداد يقينا بهذا الرب الذي وضع الإبداع والجمال في الأشياء.


الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا
(الفرقان / ٢)





و كان النبي(ص) يذكر المؤمنين دائما أن حبهم بعضهم بعضا يجب أن يكون لله وحده وفي سبيل إرضاءه: عن أبي ذر (رض) يقول، قال رسول الله (ص) :

" أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله." ١٠

و عنه أيضا (ص):



"أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله."[١١]

﴿أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فأنها به....﴾

﴿ .... في نار جهنم والله لا يهتدي القوم الظالمين.﴾

أما من يشرك بربه، فعندما يمتلك جمال شكل انسان فانه يعتقد أن هذه الصفة ملك لذلك الانسان. هذا الموقف من المشرك يشبه من يزور متحفا للاعمال الفنية ويعجب بلوحات أو رسوم معتقدا أن الجمال والروعة تأتي من اللوحة نفسها. والمفروض منه أن يمتدح الرسام الذي قام بالعمل. وهكذا إذا أحب أو اعجب أحد بانسان لحسنه وجماله أو لصوت جميل ولحن رخيم، أو تلذذ من طعام، عليه أن يتذكر فورا الخالق العظيم ويتوجه اليه بالشكر والثناء والاعجاب. والذين يؤمنون بالله حق الايمان، ولا يشركون به أو يتخذون أندادا يرجعون الفضل كله لله ويشتد حبهم وتعلقه به.

(لوحة– لاسال كار– المعروضة في متحف اللوفرللرسام جوسبي كاستيليوني–١٨٦٥).

و في القرآن الكريم يخاطب النبي إبراهيم(ع) قومه المشركين:

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت / ٢٥)

و تبين الآية الكريمة أن الحب والارتباط الوثيق الظاهر في العلاقة بين المشركين والمنكرين سوف ينقلب إلى كراهية وبغض شديد في الآخرة. وذلك بسبب اعتقادهم أن جميع أهدافهم وغاياتهم تنحصر وتتمحور فيما



بينهم وعلى المنافع، ناسين الله تعالى. أما ما يشعر به الناس من الحب والتعلق بالدنيا ومتاعها ومباهجها وزخرفتها ولهوها وتفضيلها على محبة الله تعالى، فيقول في ذلك القرآن:

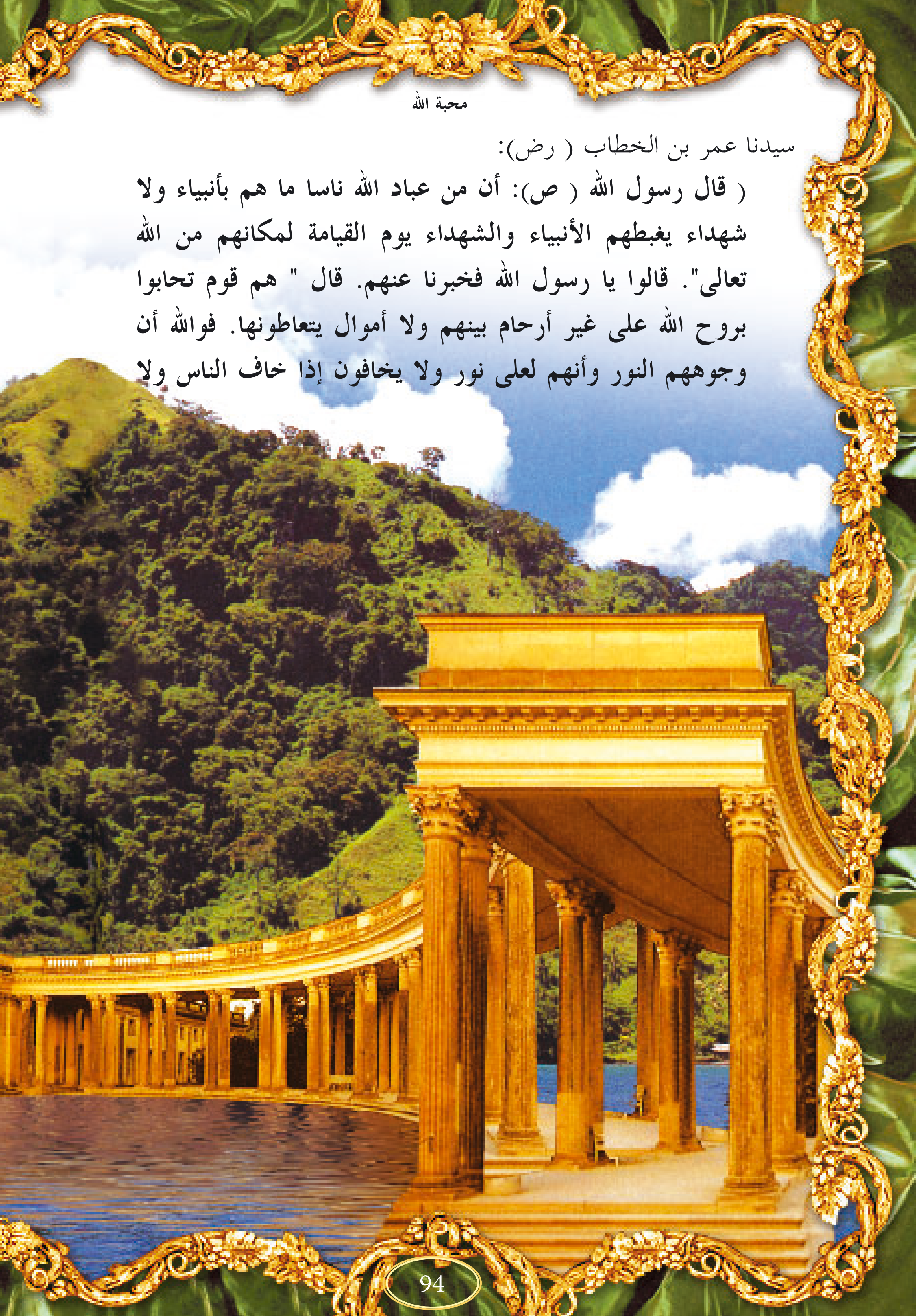
﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة / ٢٤)

إن المؤمن يحب نعم الله وزينة الدنيا ومتاعها لأنها مظهر من مظاهر الخالق المبدع ليس إلا. أما حبه الحقيقي والكبير فهو لإخوانه المؤمنين الذين يتحلون بالأخلاق الرفيعة والآداب السامية كما يريدها الله لهم. وهذا الحب في الله ليس فيه من أسباب إنسانية وعواطف جاهلية مثل القومية أو العرق أو اللون أو اللغة، كما ليس فيه أي اعتبار أو قيمة للمال أو الجاه أو المقام الرفيع أو أي قيمة مادية أخرى. يقول تعالى في وصف هذا الحب:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر / ٩)

و كما وردت من معاني جليلة في الآية، فأن المؤمن يحب المؤمنين كحبه لإخوانه وأشقائه وأهله ولا يتوانى أو يتردد عن تأمين راحة المؤمن أو منافعه ومصالحه بكل جهد وتضحية وتفان. هذا الحب الرباني لا يمكن إدراكه إلا بالتحلي بأخلاق القرآن.

يقول رسولنا الكريم (ص) واصفا عظم مقام الحب في الله ما رواه



سيدنا عمر بن الخطاب (رض):

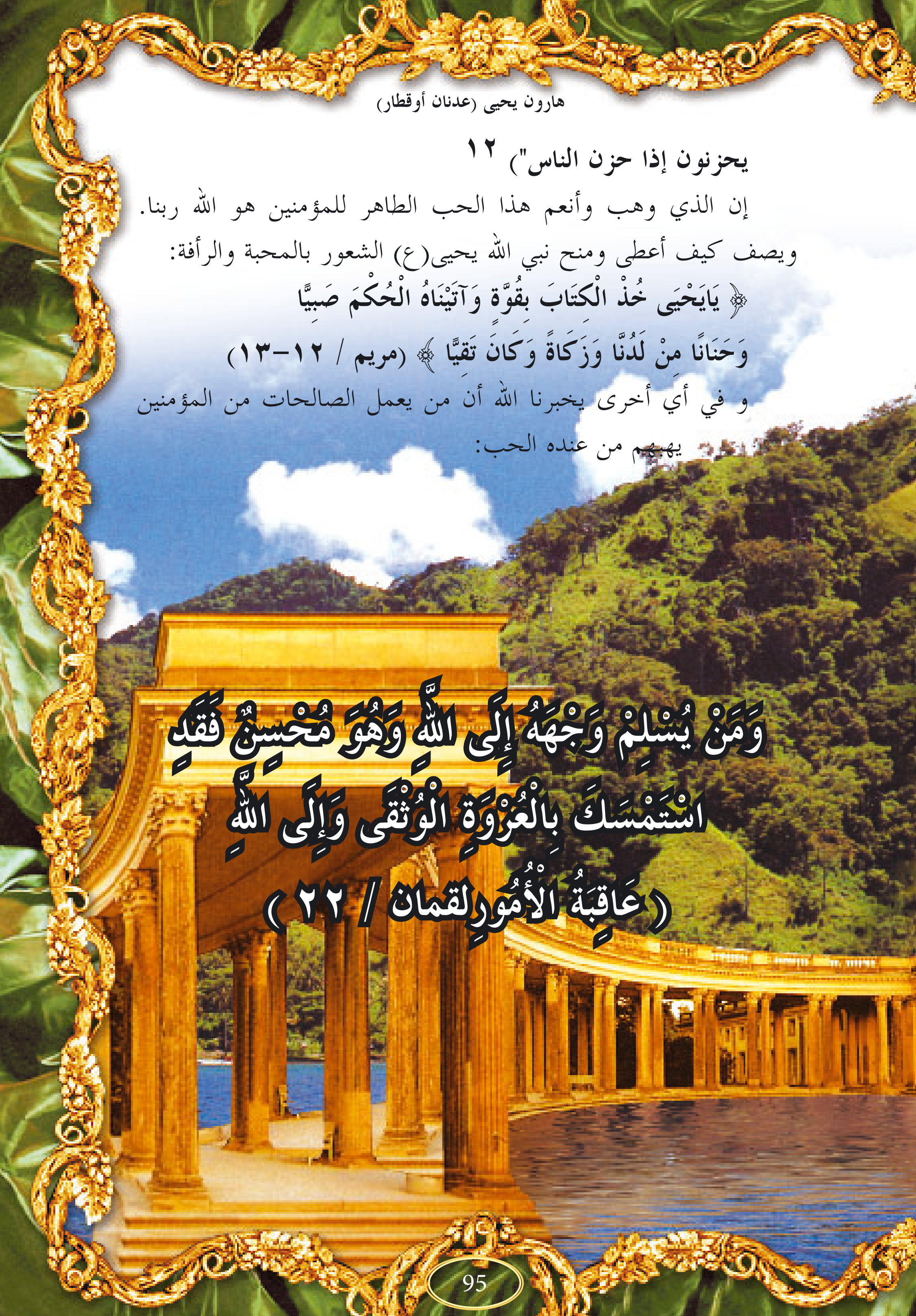
(قال رسول الله (ص): أن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى". قالوا يا رسول الله فخبرنا عنهم. قال " هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. فوالله أن وجوههم النور وأنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا

يحزنون إذا حزن الناس") ١٢

إن الذي وهب وأنعم هذا الحب الطاهر للمؤمنين هو الله ربنا. ويصف كيف أعطى ومنح نبي الله يحيى(ع) الشعور بالمحبة والرأفة:

﴿ يَايَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّة وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم / ١٢-١٣)

و في أي أخرى يخبرنا الله أن من يعمل الصالحات من المؤمنين يهبهم من عنده الحب:




فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(الروم / ٣٠)

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَانُ وُدًّا ﴾ (مريم / ٩٦)

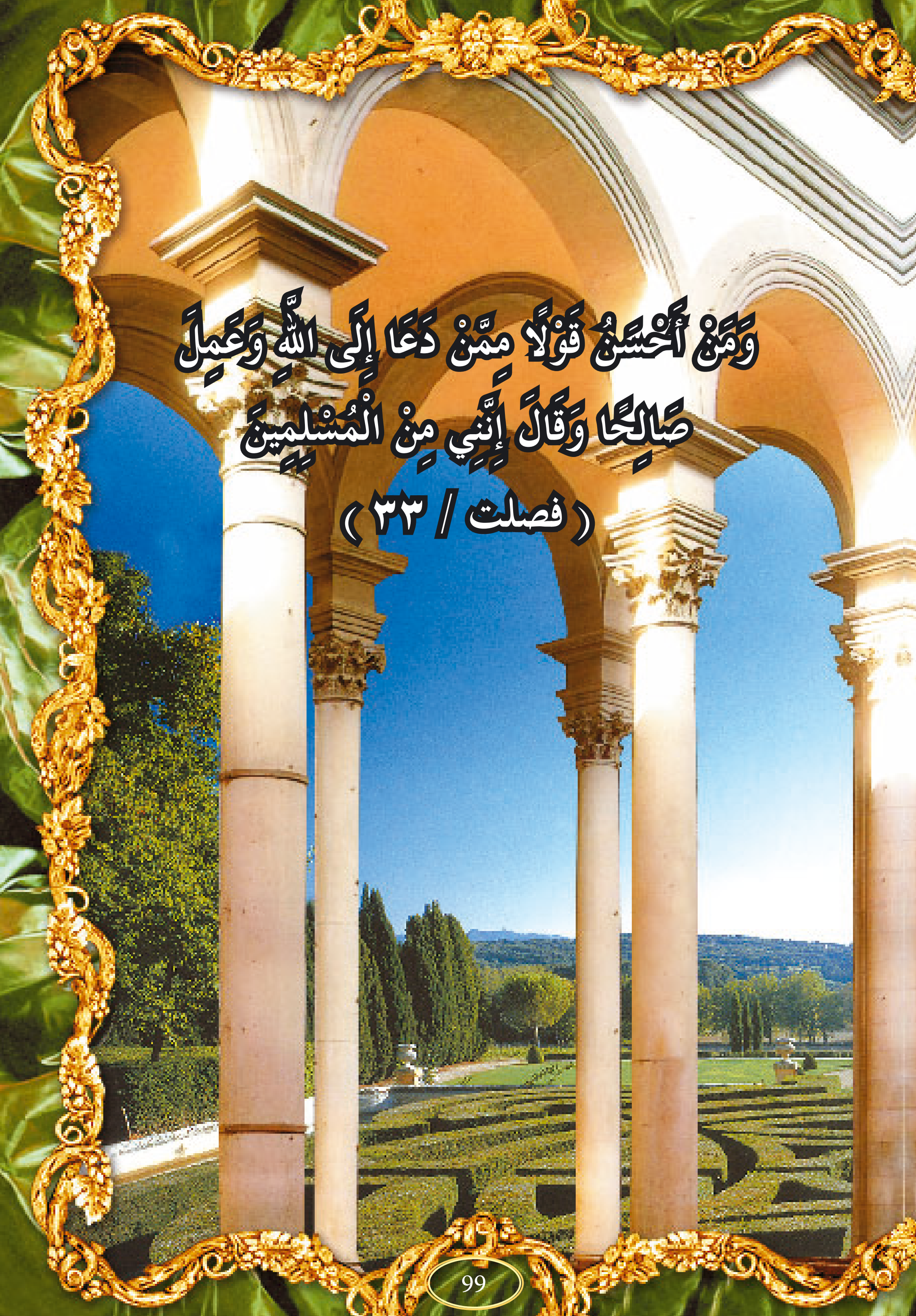
و لعله من المهم أن نذكر هنا أن من يحب لوجه الله وإرضاءه، يتوجه بهذا الحب إلى من هو على إيمان وتقوى وخلق قرآني ومن هم أكثر قربا من الله بأعماله الصالحة. ولهذا يكون رسولنا محمد (ص) هو أحب الناس إلى المؤمن وأكثرهم قربا منه.

الحب الصادق يعيش وينمو مع الأخلاقالقرآنية

إن من هو قريب من ربه ومتعلق قلبه بحبه، يرى ويعيش ويشعر بالمحبة تجاه جميع ما خلقه الله. فهو حينما ينظر إلى مشهد طبيعي جميل أو إلى زهرة يانعة أو فراشة ملونة أو قط أليف وديع، تنبعث في داخله مشاعر جياشة وتتدفق في نفسه أحاسيس جميلة عميقة. وهذه الأحاسيس يشعر بها الإنسان عندما يلتقي بشخص جميل الخلق والأدب والمزايا وحسن المظهر والقوام والخلق. ذلك لأن هذه المظاهر هي في الحقيقة ظواهر إلهية تدل على الخالق المبدع. وفي كل هذه المظاهر البديعة من جمال التخطيط والصنع الدقيق الكائن في المخلوقات من حولنا، يبرز ويوضح بجلاء جلال مقام الخالق، وهذا ما يؤدي إلى المشاعر الدفاقة من المحبة وتؤدي إلى حصول حالات من الوجد في قلب الإنسان. إن الذين يعيشون حقيقة الحب الخالص هم أولئك الذين تعلقت قلوبهم ونفوسهم بحب الله تعالى.

و يشكل الخلق القرآني أساس هذه المحبة وهذا البنيان المبارك.


وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ
(البقرة / ٢٠٧)


وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
(فصلت / ٣٣)



فليس بالإمكان أن ينمو الحب تجاه إنسان ما إلا إذا تآلف وتناغم هذا الإنسان مع أخلاق القرآن بصورة كاملة وفي جميع مظاهر أعماله وتصرفاته. ذلك أن من يتقرب إلى القرآن فأنه سوف يعيش حياته مكتسبا أجمل الصفات وأحسنها وأقومها وبما يرضي الله.

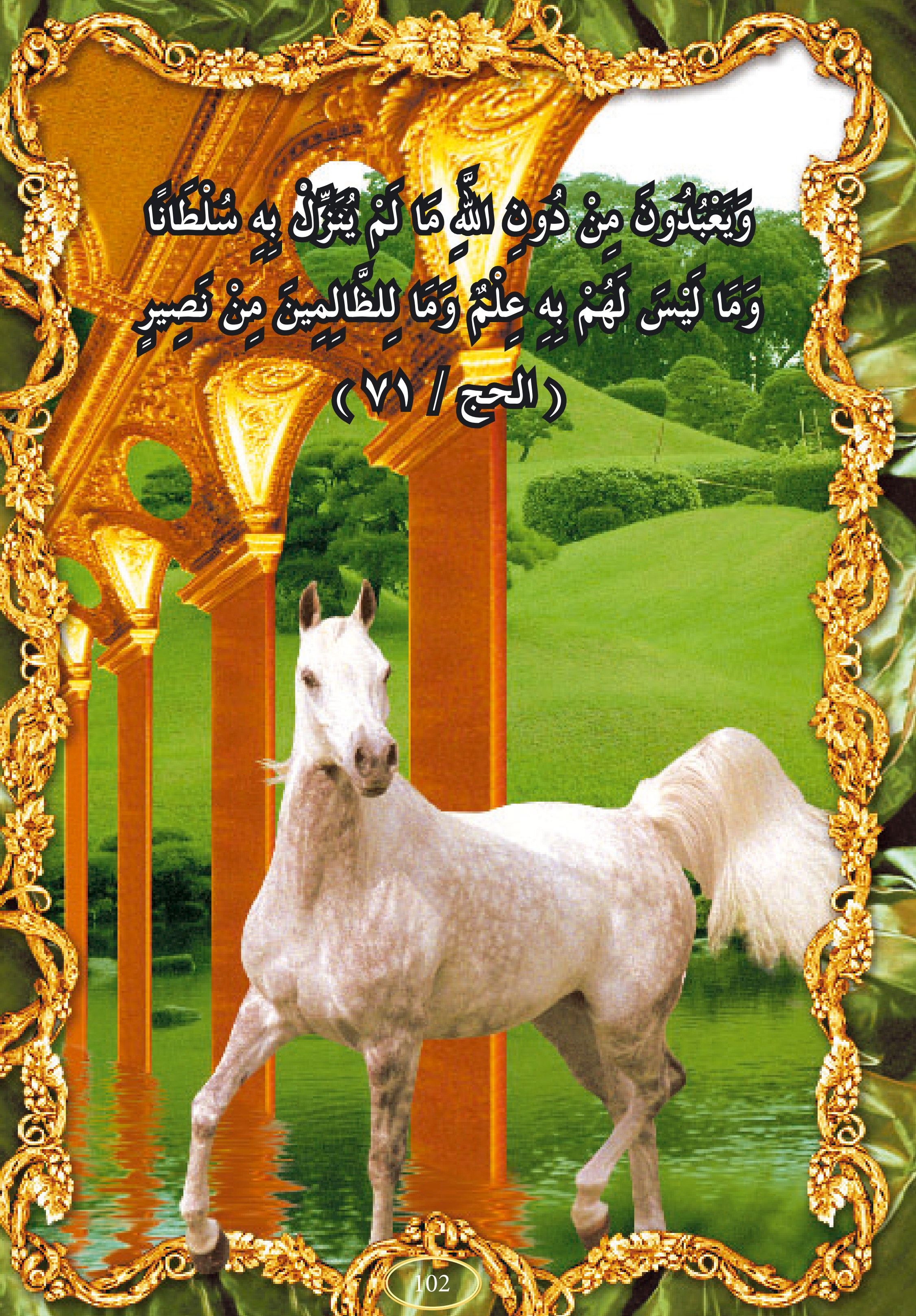
﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ (مريم / ٧٦)

في هذه الآية تأكيد على أن الاستمرار والثبات في اكتساب الأخلاق القرآنية يأتي من خلال التعلق بالله. ومن مظاهره هذه المفاهيم الجميلة مثل الوفاء والصدق والاحترام والمحبة والواضع والتضحية والاستقامة والتفاؤل والتسامح والرحمة واللطف واللين والشجاعة والحزم وهي كلها



نتائج تأتي من هذه العلاقة، وتؤمن للإنسان الصبر والثبات طوال عمره واستمرار حياته على الأرض. والأسس المتينة لحب المؤمن هي الإيمان وخشية الله والتمسك بالقرآن وأخلاقه التي تخلق عناصر القوة والثبات والعمق بقدر درجة التعلق بالله ومحبته. وبالتالي كسب رضاه. والمؤمن يعرف أن هذا الحب سوف يستمر ويدوم ليس في الدنيا فحسب وإنما في الحياة الأخرى وإلى الأبد، وهذه الحقيقة سبب

قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ
أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
(الأنعام / ٧١)


وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ
(الحج / ٧١)



وجيه آخر لتحقيق أواصر هذا الحب وجعلها أقوى وأوثق.

إن الذي يتمسك بالخلق القرآني، يجعله كائنا سامي المكانة وعزيزا ومقدرا عند ربه وعند عموم المؤمنين رغم أنه لا يبغي في الحقيقة سوى كسب رضى الله ومغفرته ويأمل الدخول في زمرة أحباء الله. ولكنه يكسب أيضا محبة المؤمنين لأن الله يسخر له الأسباب ويهبه نورا وجمالا يدخل بها قلوب الناس ويفوز بمحبتهم.

الفهم الخاطئ للمحبة عند من لا يتمسكون بخلق القرآن وآدابه

الذين هم بعيدون عن الأدب والسلوك والأخلاق القرآنية تتضارب لديهم مفاهيم ومعاني الحب وتتخبط سالكه سبيلا غير قويمة، مثله مثل غيرها من مفاهيم الحياة. ذلك لأن علاقاتهم مبنية على أسس واهية سقيمة مهما حاولوا إظهار عكس ذلك في أساليب وطرز معيشتهم، وادعائهم الباطل بأيمانهم وتمسكهم بالحب والاحترام في تعاملهم. في الفصول القادمة توضح لمواقف هؤلاء البعيدين عن القران والتربية الربانية وما يعتمدونه من قيم ومقاييس باطلة.

العلاقة بين الرجل والمرأة المستندة إلى أسس الشرك بالله

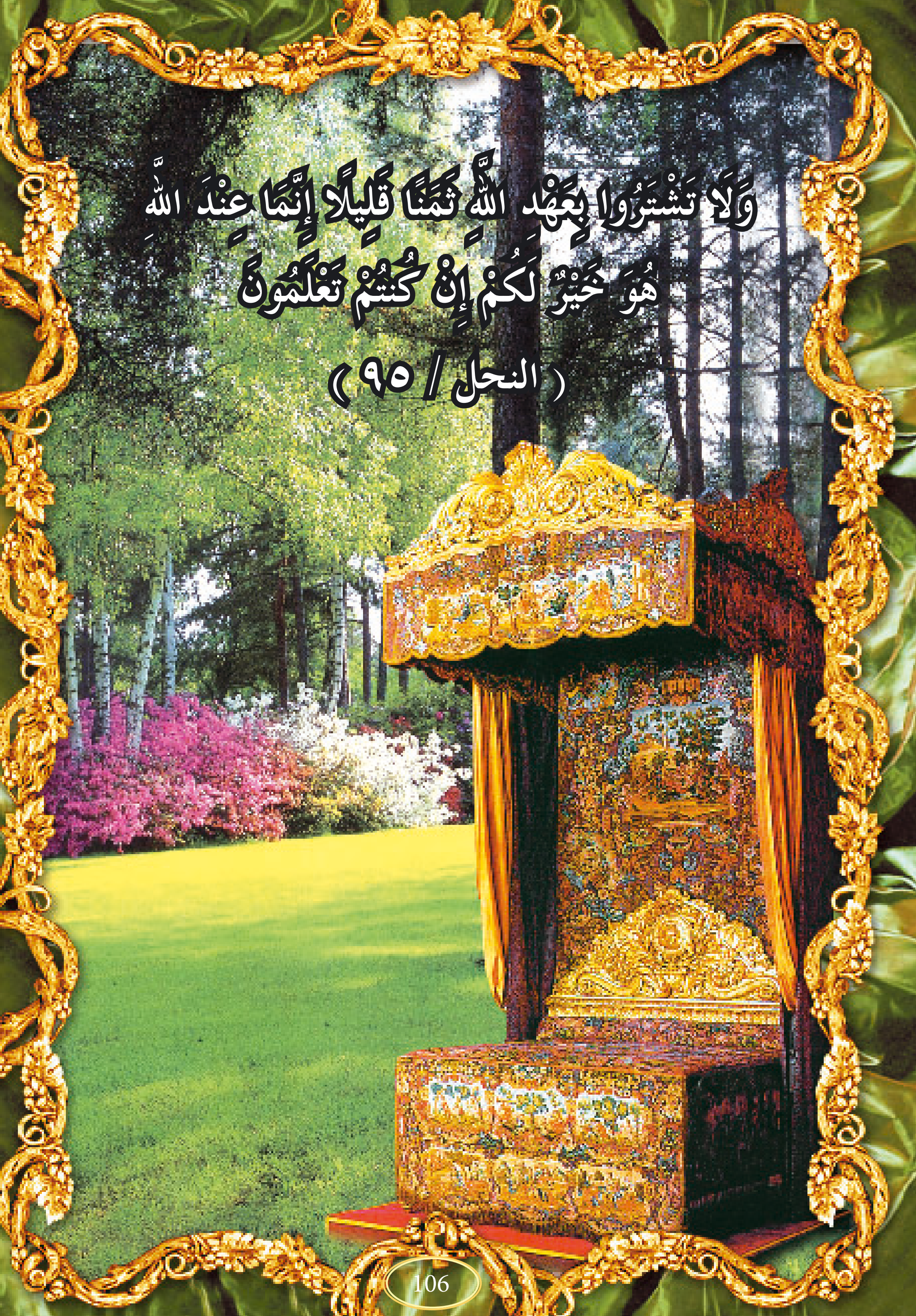
تظهر كثيرا في العلاقة بين الرجل والمرأة مقاييس وبوادر تستند إلى

معاني الشرك " نعوذ بالله منه". فالبعض يظهر المحبة و الميل إلى من هم مخلوقات وعباد لرب العالمين معتبرين من يتخذونهم أخلاء بمثابة الغاية ويرتبطون بهم إلى درجة العجز والتسليم، مرددين أوصافهم ومعظمين أشخاصهم وتصرفاتهم محاولين دائما كسب المزيد من رضاهم وحبهم وانتباههم. يتفكرون بهم جل نهارهم ويسهرون الليلي في أرق وسهر مؤلم يقضونها في تذكرهم ويحلمون بهم. وهم لا يتوانون من بذل كل ما يستطيعون من جهد ووقت لكسب ودهم، ساهين أو ناسين في كل هذا ذكر الله تعالى. بل ويفعلون حتى ما يخالف أوامر الله ونواهيه إذا ما تطلب ذلك، ولا يترددون في التضحية والفداء من أجلهم. هؤلاء في الواقع كأنما يتخذون بعضهم بعضا " أربابا". وهذا ما يتجلى في أشعار الغزل وقصائد العشق والروايات الغرامية والكتابات الأدبية حيث تتردد كلمات مثل "العبادة" أو "المعبودة" في وصف هذه العلاقة. هذا النوع من الحب أساسه مفهوم الشرك بالله. أي قرآنية تشير بدقة إلى هذه الحقيقة التي تستند إلى مفاهيم جاهلية غير إيمانية تقترب من الشرك بالله، في حين أن محبة الله أعلى مكانة وأوثق رابطة وأقوى أثرا من دونها:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ (البقرة / ٢٠٠)

محبة الله فوق كل شئ وكل شكل من أشكال الحب. وأية علاقة أو ارتباط أو مظهر من مظاهر الحب يخرج حب الله من القلوب ليحل حب العبيد محله إنما هو شرك بالله تعالى بدون ريب أو شك. وهذا ما يدفع الإنسان إلى مصير بائس آخره عذاب جهنم وبئس المصير،


وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
(يوسف / ٣٨)


وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
(النحل / ٩٥)

وهذه الحقيقة تغيب كثيرا عن أذهان الناس. لا شك أن حب إنسان لأخر وارتباطه بعلاقة حميمة وقيامه بالعطف والحماية والرعاية لأهله وأقاربه إنما هو شئ جميل ونبيل في حد ذاته. وكما سبق وأشرنا فأن حب الناس والإحساس بالقرب منهم والتآلف معهم إنما هو نعمة كبيرة من نعم الله على الإنسان. ومثل هذا الحب لا يأتي بالخير والسعادة للإنسان لا في حياته الدنيا ولا في آخرته إلا إذا كان في سبيل الله ولأجل إرضاءه. أما إذا كان الحب مبنيا على أساس من الشرك بالله، فلا يمكن إلا أن يأتي منه الخسران والندم والآلام. ويخبرنا الله في القرآن كيف أن المتحابين على أساس الشرك لا يترددون من أن يفدوا ويضحوا بمن يحبون للخلاص من نار جهنم:

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ (المعارج / ١١-١٤)

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس / ٣٤-٣٧)

الصداقة المبنية على المصالح

بعض العلاقات والصداقات التي ظاهرها العطف والإخلاص، تعتمد في حقيقتها ولدى الشعور آلا إرادي لدى الإنسان، على توقع المنافع والمصالح من الطرف الآخر رغم عدم وقوع القصد من ذلك. ويعبر بعض الناس أيضا عن الحماسة والاندفاع الذي يشعر به تجاه من يتوقع أو ينتظر منه مصلحة أو غرضا، بأنها من مظاهر الحب والألفة. غير إن



هذا الإحساس والشعور بعيد عن معنى ومقصد الحب وإنما هو نوع من الإعجاب بما يملكه من جاه أو يتصف بها من صفات. وفي حالات كثيرة يتغير ويتناسب هذا الإعجاب مع ما يملكه من مال أو ثروة، فتزيد مع زيادة ثروته وأمواله، لما تمتلكه الثروة من تأثير كبير على الناس. هذا الحمى والشعور ليس حبا وإنما هو وله وتعلق وهوى وإعجاب بمتاع الدنيا الزائل. ففي هذه الحالات ليس لأخلاق الإنسان الثري أي اعتبار أو تقدير أو وزن في ترسيخ أو تشكيل هذه العلاقة. ويكفيه أن يكون ذا مال أو جاه أو سلطان ليكسب هذه المحبة حتى ولو كان أسوأ الناس خلقا وأغلظهم وأقساهم طبعاً وأشدهم ظلما وأضعفهم فكرا وثقافة وعلما وأبعدهم عن الرحمة والحنان.

و هناك بعض الناس لهم مقاييس أخرى في فهم الحب والصداقة. فهم يريدون ويتوقعون من كسب صداقة من يبعث في نفوسهم السرور والبهجة أي الذي يضحك أكثر. فيردد شعار " ينبغي لمن يطلب صداقتي أن يكون قادرا على اضحاكي أكثر...." وهذا النوع من العلاقة ليست ثابتة أو دائمة وإنما تعتمد على منافع محدودة. إذ ليست الرغبة في الضحك والمزاح أساسا يمكن



اعتماده لتأسيس علاقة أو زمالة صادقة. هذا الشعور بتحقيق الراحة لدى البعض يختلط ويتضارب مع مفاهيم المحبة النبيلة، فيتحول تأمين المصالح والمنافع إلى نوع من الحب. وآخرون يعتمدون مقاييس جمال الخلق والمظهر وحسن الهندام والقوام، معتبرين هذه المقاييس وسائل لتأمين نوع من المكانة والتقدير لهم. وبذلك تحل المواصفات والخصائص الفيزياوية لمقاييس الجسم وشكل الوجه والعينين والأنف محل أي اعتبار أو قيمة أخرى كالأخلاق الحميدة والنفس الطيبة والأريحية في التعامل وأمثالها من المقاييس الإنسانية الرفيعة. وكأنما هذا الحب يردد عبارة " المقاييس الجمالية لهذا الإنسان تؤمن لي التقدير والاحترام" فإذا ذهب الجمال فليس للروح أدني قيمة عنده. المهم عنده أن يكون الإنسان الذي أمامه جميل الهيئة وسيم المظهر ولا يهم إذا كان فظا قاسيا مستهزأ بالناس فلا يرى منه مثل هذه العيوب والنواقص.

و من الناس من يهمه فقط تأمين مصالحه وجعل حياته في أمان وضمان. والكثيرون يفكرون ما سوف تكون عليه أوضاعهم الاقتصادية والمعاشية وضمان مستقبلهم عند المرض أو التحضير والإعداد لما سوف تأتي مع الشيخوخة من الوحدة والعزلة،

أو ربما الوقوع في أوضاع صعبة يحتاجون فيها إلى العون والمساعدة من آخرين. وهم يعتقدون أن الزواج – مثلا- يمكن أن يكون أفضل الوسائل لمجابهة هذه الأمور المقلقة، ولتأمين هذه الوسيلة، فهم يحاولون التمسك والتشبث بمن يعتقدونهم الأفضل لهم، ويكافحون ويجاهدون دون فقدانهم أو خسارتهم. هذا " الخوف من المستقبل الغامض" يتحول إلى ما يعتقد أنه الحب الحقيقي. ويبقى هذا الشعور يسيطر عليهم ويؤدي بهم إلى تحمل إلى تبعاته والصبر على نتائجه جميعا. ولا يتوانى مثل هذا الإنسان من بث شكواه والحديث عن آلامه وما يقاسيه، ولكنه لا يتردد من القول أنه يحب زوجه إذا ما سئل، جاعلا ما يتوقعه وينتظره من مصالح ومنافع غاية ما يصبو إليها من أهداف. في حين أن المحبة الحقيقية الصادقة المستندة إلى الأخلاق القرآنية ليس فيها توقع أي مصالح أو منافع. شخصية من كان نوعها، بل تكون متينة الأسس وقوية لان الإنسان المحب يجد في المقابل له مظهرا من مظاهر الخالق المبدع. فلا يتكلم عنه إلا بالخير ولا يصفه إلا بالثناء عليه وكيل المدح ولا يشعر تجاهه بالحقد والضجر والضيق إذا ما وجد منه نقصا أو تصرفا خاطئا، بل يبادله الحنان والشفقة والود، يستر عيوبه ويغض الطرف عن صغائر عيوبه ويكون سندا له ودعما وعونا مظهرا له المحبة والصداقة بأجمل وأبهى شكل.

المحبة العابرة قصيرة الأمد

سرعان ما تنتهي المحبة غير المستندة إلى أخلاق القرآن. ويتحول الحب الظاهري بين اثنين إلى ملل وضجر حينما لا تتحقق المصالح

المتوقعة، أو عندما يصيب أحدهما مرض أو عجز يتحول إلى عبء لا يحتمل، وبالخاصة إذا ما أصاب مكروه أو حادث بصاحبه مما أدى إلى حصول ضرر أو تشوه ظاهري علية، حينئذ تأتي النهاية السريعة لهذا الحب. كثيرا ما نقرأ أو نشاهد في وسائل الإعلام كيف ينتهي زواج ظاهره السعادة إلى فشل وافتراق بسبب مرض أو عاهة تصيب أحدهما أو في حالات أزمة مالية أو إفلاس. فكثيرا ما تنتهي زيجات إلى خصومة والافتراق إلى الأبد لسبب من هذه الأسباب، بعدما كان ظاهر الأمر حب وتفاهم.

إن المحبة الصادقة في الحقيقة تزداد قوة ومتانة بمرور الزمن. فحين يكون القياس والميزان الأخلاق والأدب الرفيع، نرى أن المحبة تزداد وتتوثق بين زوجين كلما تعمقت العلاقة وظهرت كوامن وجوهر خصالهما مع مرور الوقت. إن مثل هذا الحب لا يتأثر سلبيا بأي شكل من الأشكال عند حصول أي حالة طارئة غير منتظرة مثل العجز أو المرض أو لأسباب اقتصادية وربما يحصل العكس، إذ تسبب مثل هذه الحالات الطارئة إلى ظهور أوضاع جديدة من أشكال الرحمة والشفقة والتواضع والتضحية وبما تؤدي بالتالي إلى زيادة متانة وقوة الرابطة والعلاقة بين الطرفين. وسبب هذه المظاهر هو الارتباط بمفاهيم أخلاق القرآن. فالخشية من الله تعالى والخوف من الوقوع في المعاصي والسعي لكسب رضاه وعفوه والتوسل بالوسائل الأخلاقية الواردة في القرآن هي أدوات فعالة ومؤثرة لإعطاء دفعة قوية للمحبة وتمتين روابطها ووشائجها. لذلك لا نرى أي انحراف أو زلل في تصرف المؤمن عند وقوع المحاذير التي أوردنا ذكرها، لا بل تترسخ وتتعمق المحبة في قلبه.


مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا
(الإسراء / ١٨)


اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
مَتَاعٌ
(رعد / ٢٦)


المحبة في أخلاق
القرآن الكريم



لا يمكن معرفة الحب الصادق إلا بالعيش ضمن دائرة الأخلاق والآداب التي يأمر بها الدين، فمعرفة الله تعالى بصدق ويقين والسعي الدؤوب لكسب رضاه ومغفرته وبالتالي نيل محبته، ثم التحلي بالأخلاق القرآنية هي الأسباب الرئيسية والفاعلة للوصول إلى المحبة المتبادلة. إن الله يضع بذور المحبة في قلب المؤمن كما ويهيئ له أسباب حب الناس له. ذلك لأن الله مصدر الحب ومنبعه الوحيد. ولكي يتوصل الإنسان إلى الأخذ منه وارتشاف طعم المحبة الصادقة عليه أن يدرك أن هذه النعمة العظمى لا تليق إلا لمن بأصول الأخلاق القويمة والاستقامة، وكذلك للذين يتوسلون ويتضرعون لنيل هذا العطاءِ الرباني. أما من يبتعد عن القرآن وينغمس في أدران الجاهلية والشرك فأنه محكوم عليه بفقدان السعادة في الدنيا والآخرة ويعيش منبوذا بدون رفيق أو صاحب. لقد أيدت آيات القرآن أن المحبة الحقيقة نعمة من الله وفضل:

﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم/ ١٣)

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا


لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
(الحجر / ٨٨)

الصَّالحَات سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَانُ وُدًّا ﴾ (مريم / ٩٦)
﴿ وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم / ٢١)

أما خصائص ومقومات من تليق به نعمة المحبة الصادقة فأليكم بعضا منها:

أن تكون مضحيا

الذي لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يعتقدون أن الحياة مسرح للصراع المرير والشرير. فالقوي يسحق من هو أضعف منه لكي يقاوم الفناء ويستمر بالعيش. هذا الاعتقاد السقيم يؤدي بهؤلاء إلى نسيان مفاهيم الأخلاق الإنسانية ويلجأ ون إلى اعتماد مفاهيم منحرفة مثل القاعدة الخاطئة التي تقول وتدعوا إلى الحصول على منافع ومكاسب على حساب الآخرين. وفي مجتمع تسود فيه هذه المفاهيم لا نتوقع أن نجد من يفكر في مساعدة ومعاونة من يحتاج ذلك، أو الإيثار على النفس والتضحية للغير عند الحاجة، أو السعي لإسعاد البشر ودفع الظلم والغبن عنهم. وأمثال هؤلاء يعتقدون أن الأخلاق الفاضلة والأفكار الإنسانية ضعف ليس لها موقع ومحل في دنياهم.

غالبا ما نجد تفشي هذه المعتقدات الضالة في المجتمعات التي لا تعيش على مبادئ الدين والإيمان، ولذا لا نجد أي أثر لمشاعر الحب الصادق والألفة المخلصة، لأن الإنسان يفكر في مصلحته الشخصية دون غيره، وتترسخ الأنانية في النفوس والتصرفات، فلا تدع مجالا للحب

والود أن يجد مكانا في القلوب.

و هذه الأنانية بكل قسوتها إن سيطرت على كيان الإنسان فقد معها كل إحساس بالحب تجاه الناس. إن مجرد التفكير بالراحة الشخصية فقط والسعي لخلق حياة ناعمة وفارهة من طعام ومسكن وملبس لنفسه وحده، يجعل الإنسان يفقد حب الغير واحترامهم. هذه المشاعر يمكن ملاحظتها ومشاهدتها في المجتمعات الجاهلية حيث تترسخ في ضمائر أفرادها وشعورهم الداخلي نظرة غير حميدة إلى هذه الفئة من الناس. إن من يعيش ضمن دائرة أخلاق الجاهلية لا ينتظر من أقرب الناس إليه أن يبادر بأي فعل فيه تضحية أو إيثار. ولا يلجأ إلى طلب مساعدة العاملين معه. فإذا أراد – مثلا– أن يحل محله زميله في العمل حينما يحتاج إلى أخذ طفله إلى الطبيب ولوقت محدود فأنه يستبعد هذا الاحتمال من ذهنه تماما. وهنا تصبح بعض الأفكار والاعتبارات الإنسانية مثل مساعدة الوالدين مشكلة بين الأبناء وخلافاً ونزاعاً رغم ظهورهم أمام الناس بمظهر من يعطف ويحنو على الوالدين. وهنا أيضا يتهرب الناس من إبداء أي عون أو مساعدة إذا لم تكن لهم فيها مصلحة أو منفعة مادية. أما الإنسان الذي في قلبه موضع للحب الحقيقي فأنه لا يتوانى عن الفداء والتضحية دون أن يجد أي ضيق أو حرج أو تكلف.

المحبة والتآلف بين المؤمنين تفرز التضحية والإيثار على النفس كأهم مميزاتها وخصائصها وعلاماتها. فنرى بينهم علاقات إنسانية توضع مصلحة الغير قبل مصلحة الفرد وبكل قبول رحب وسرور. ولنا في معاملة أهل المدينة من الأنصار الأسوة الحسنة والمثل الرائع حينما آثروا المجاهدين من مكة وتآخوا معهم.

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر / ٩)

و في هذه الآية تأكيد وثناء على مآثر أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين من مكة معاً. فحينما ترك أهل مكة من المؤمنين جميع ما يملكونه من مال وعقار وبساتين وأعمال وأهل وعشيرة، وبيوت وأثاث وكل متاع فرارا بدينهم وعقيدتهم مضحين بكل ما يملكون من حطام الدنيا مهاجرين فرارا بأرواحهم، هؤلاء إنما يبغون رضا الله ومحبته. وهذا شاهد على رفعة أخلاقهم وسموّ نفوسهم وصفاء قلوبهم وسرائرهم. آمنوا بربهم ووكلوا إليه جميع أمورهم، غير خائفين أو وجلين من المستقبل، فكسبوا بذلك قلوب الآخرين وإعجابهم وتقديرهم. ويقابل أهل المدينة إخوانهم المهاجرين بكل حب وشوق وترحاب وقدموا لهم كل ما يستطيعون تقديمه، دون أن يتوقعوا منهم منفعة أو مصلحة، وأكرموهم أحسن تكريم إكرام فآووهم واستضافوهم وآثروهم على أنفسهم وأهليهم. هذا الإيثار إنما ينبع من الإيمان العميق بالله تعالى والحب الكبير الذي تكنه قلوبهم لربهم ولإخوانهم المؤمنين. وكما وهم كسبوا محبة وتقدير الناس وإلى يومنا هذا، فإن ربحهم الكبير وكسبهم الحقيقي إنما هو ذكر الله لهم وثناؤه عليهم وكيل المدح لهم. والمسلمون لا يزالون يقراون هذه الآيات ومنذ ألف وأربعمائة عام ويشعرون بهذا الحب والعلاقة الأخوية ويعيشون حلاوة الإيمان معهم. أي أخرى تذكرنا تضحية المؤمنين:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا


الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ
الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ
(آل عمران / ١٣٤)


لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
(آل عمران / ٩٢)



عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (الإنسان / ٨-١٠)

إن من يقدم طعامه – رغم حاجته إليه- إلى المساكين والفقراء يكسب حب وتقدير وإعجاب الناس في كل زمان. لنوضح هذا الموقف الإنساني بمثال ونقول: تصوروا حالكم وأنتم في حالة شديدة من التعب والإرهاق والجوع والإعياء ومعكم شخصان آخران. أمامكم من الطعام والمنام ما يكفي شخصا واحدا لا غير. فيقوم أحد الشخصين ويبادر إلى تناول الطعام.

دون أن يسأل إن كنتم بحاجة إليه، ثم يحتل المنام

الوحيد بتحد وإصرار وصلف. وفي مقابل هذا الوضع تصوروا أن يقوم الشخص الثاني بتقديم الطعام إليكم ويدعوكم لتناوله أولا ويلح عليكم أن تأخذوا المنام لوحدكم إزاء موقف هذين الشخصين ستشعرون ببر ود وأسف انزعاج لموقف الأول وتصرفه بأنانية وهمجية، وبكل الود والحب والإعجاب وحتى الامتنان للثاني منهما، لما امتاز به من تضحية وإيثار على النفس والذوق الرفيع الذي بدر منه. ذلك لأن الله خلق الإنسان ووضع في قلبه حب الأخلاق الحميدة ومحبة الإنسانية.

أن تكون عفواً

يمتاز من يعيش حياة الجاهلية بسرعة الغضب والنفور من الآخرين والحقد عليهم لأسباب واهية أو لأقل ضرر يصيبه فيبادر إلى قطع العلاقة والدخول في نزاع وخلاف مع من كان يدعي أنه أقرب الناس إليه، وينسى فضل الصداقة والاخوة بكل بساطة.

يكمن السبب في هذا التصرف الأهوج في عدم التحلي بأخلاق القرآن وفراغ القلب من الرحمة ومن مفاهيم إنسانية مثل التضحية والمسامحة والعفو والصبر، وخلوّ طرز معيشتهم من هذه المبادئ السامية.

أما المؤمن فهو صبور يحب العفو ولا يتصرف أمام الأخطاء والزلات الصغيرة والتقصير الإنساني بشدة وقسوة تصل حد قطع الروابط الأخوية، فهو دائما يعطي فرصة أخرى، يذكر وينصح ويعاون على تلافي التصرفات غير الصائبة. يبادر إلى كشف عورات وأخطاء أخيه المؤمن بل يستره ويرشده إلى مواطن الخطأ بحكمة وروية ويذكره بحكم القرآن ويكون معه من الناصحين. فالفهم الصحيح والنظرة المتفائلة والسماحة تحكم الروابط التي تقوم على الحب الحقيقي، لأن جميع المسائل والمشاكل إنما تصل إلى حلول صحيحة في جو التفاهم والهدوء والسكينة. وينصح

الله المؤمنين بالتزام جانب العفو وكظم الغيظ. وتؤكد آيات القرآن على ذلك:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور/ ٢٢)

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة /١٣)

ليس للعفو والصفح حدود محدودة لدى من يؤمن بأحكام القرآن هذا ما نراه في الآية السابقة التي توحي إلى المؤمنين أن يعفوا حتى من يسئ إليهم إلى حد الخيانة. ومن يتحلى بهذه الخصال لا يتردد عن العفو حتى إذا ما واجه من آثره أفدح الأضرار، وهو بهذا التصرف الحكيم يعطي مثالا جيدا ونموذجا صالحا لمن يحاول طعنه من الخلف ويسبب له الضرر، ربما يصل به الحال إلى كسبه كصديق. والمؤمن يشعر براحة وانشراح نفسي كذلك عندما يجد العفو والمسامحة ممن أخطأ بحقه، ويزيد إيمانا، وحبا وتعلقا به. ويذكر الله تعالى أن العفو من متطلبات ومسببات المحبة الصادقة:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت / ٣٤)

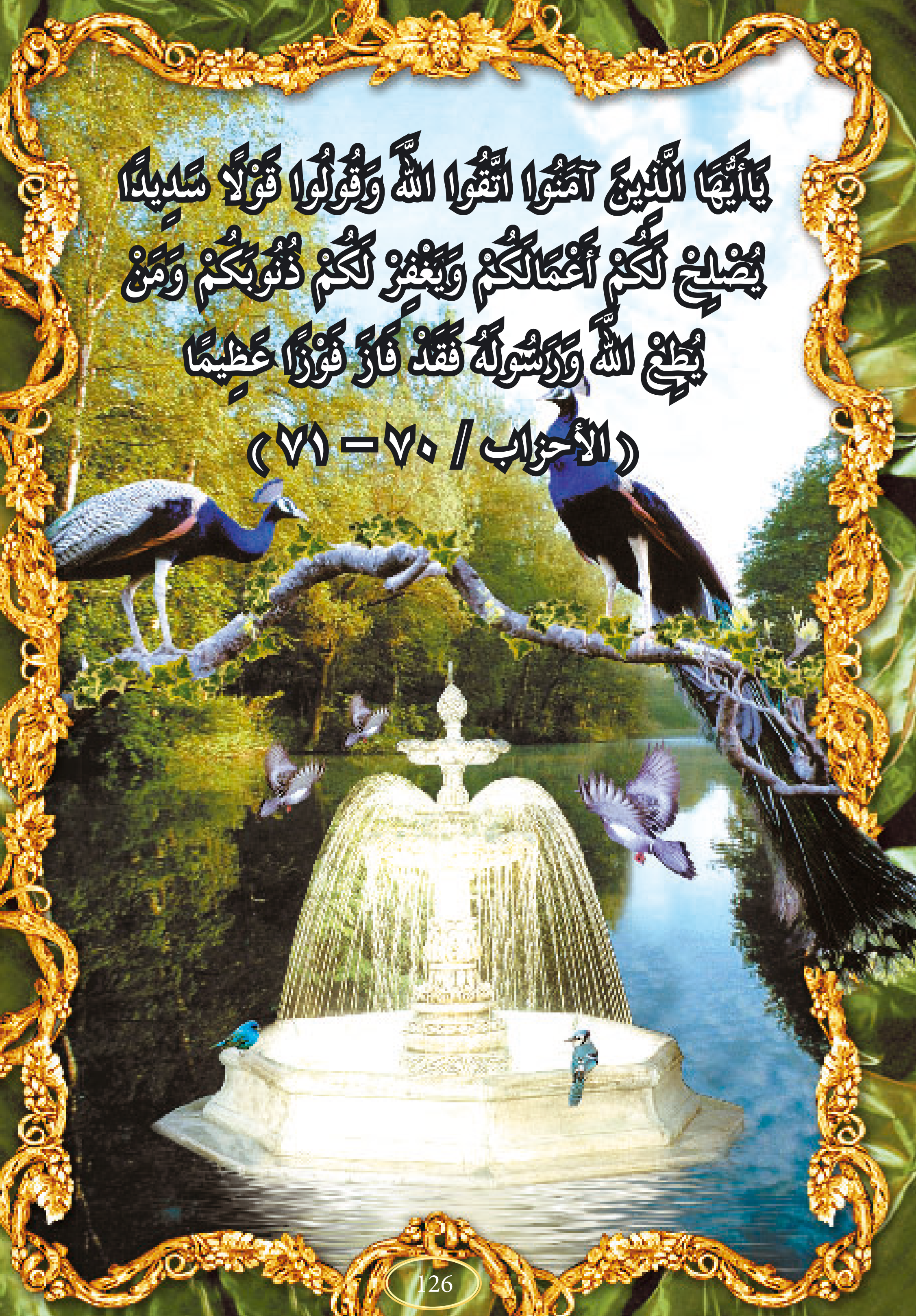
أن تكون متواضعا

لكي تتحقق علاقة صحيحة وارتباط متين ومحبة أصيلة لابد أن ترفع العقبات والعراقيل أولا، مثل الأنانية والرياء والمصلحة الخاصة. فكما أن الغرور والتكبر من أكبر معوقات تطور المحبة وتقويتها فأن التواضع



والبساطة والإخلاص من أهم شروط تحققها. ذلك لأن المحروم من التواضع يجد نفسه أفضل من غيره وأعلى مكانة منهم ولا يعطي أي اعتبار أو تقدير إلا لنفسه ويرى غيره أدنى مكانة وأقل قيمة منه. فهو يعتبر نفسه أذكى الناس وأكثرهم علما ودراية واحتراما، وبعبارة أخرى يحاول "تأليه" نفسه. إن مثل هذا الإنسان الذي يعظم نفسه ويحقر الآخرين ويستصغرهم لا يمكن أن ينتظر منه صدور تصرفات تدل على الوفاء أو التضحية أو إيثار الغير على نفسه، ويستحيل أن تدخل المحبة إلى قلبه. فالتكبر والحب مفهومان متضادان ومتعاكسان، فكما إن من يحمل في قلبه الغرور لا يمكنه من الشعور بحب الآخرين، فأنه لن يجد من يحبه بصدق.

أسباب كثيرة تجعل الإنسان المتكبر والمغرور يعيش حياة خالية تماما من الحب والعطف، لأنهم يتحلون ببعض الصفات السيئة نتيجة إعجابهم بأنفسهم مثل السخرية والاستهزاء بالآخرين. وهم عندما يفضحون قصور وعيوب الآخرين يعتبرون ذلك وسيلة لإعلاء مواقفهم وإبراز أنفسهم بشكل أفضل.


يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
(الأحزاب / ٧٠ – ٧١)



ومن يملك مثل هذه الصفات والخصال السيئة المنفورة لا يمكنه أن يجد من يكن له الود والمحبة.

الإنسان المتواضع مقدر ومحبوب من الآخرين. الجميع يشعر نحوه بالألفة لتعامله معهم بشكل يشعرهم بمكانتهم وإنسانيتهم، فهو يستمع إلى من ينصحه ولا يحسب أنه يعلم كل شئ أو أنه يعمل أحسن من الآخرين. لا يعاند أمام الصحيح، أو يصخب أمام التعامل الخاطئ. ينظر بعين العطف ويفكر نحوهم بعقل واع. ولأنه لا يشعر بتعال أو نظرة فوقية فلا يخطر بباله أو تتبادر إلى لسانه عبارات مثل " ليبادر غيري بإظهار حبه نحوي أولا" . أو " فليكلمني هو أولا ويحييني...!" وهي عبارات تحمل معاني الغرور والغطرسة، وهو ينظر بكل بساطة وتواضع حتى مع من يجد فيه القسوة والغلظة والفظاظة. يحترم ويقر آراء الآخرين، ويجيب على التحية بأحسن منها، يعامل الجميع بكل حب وكرم. وخلاصة القول تتمثل فيه كل ما تفرضه أخلاق القرآن من تواضع وتسامح. نير الفكر واسع الأفق، يألف ويؤلف، سهل التعامل ولين العريكة، يؤثر على المقابل ويحترم الجميع ويوقرهم. وهذه كلها تدفعهم إلى تبوء مكانته قريبة من القلوب والنفوس. يقول تعالى في هذه الخصال الحميدة:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان / ٦٣)

و يبشر الله عباده المتواضعين في أي أخرى بالنعيم والجنة:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (الحج/٣٤)

و في سورة آل عمران يذكر الله تجمع المسامين حول الرسول



وتآلفهم بسبب لين عريكته ولطفه وجميل رحمته وشفقته بهم:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران/ ١٥٩)

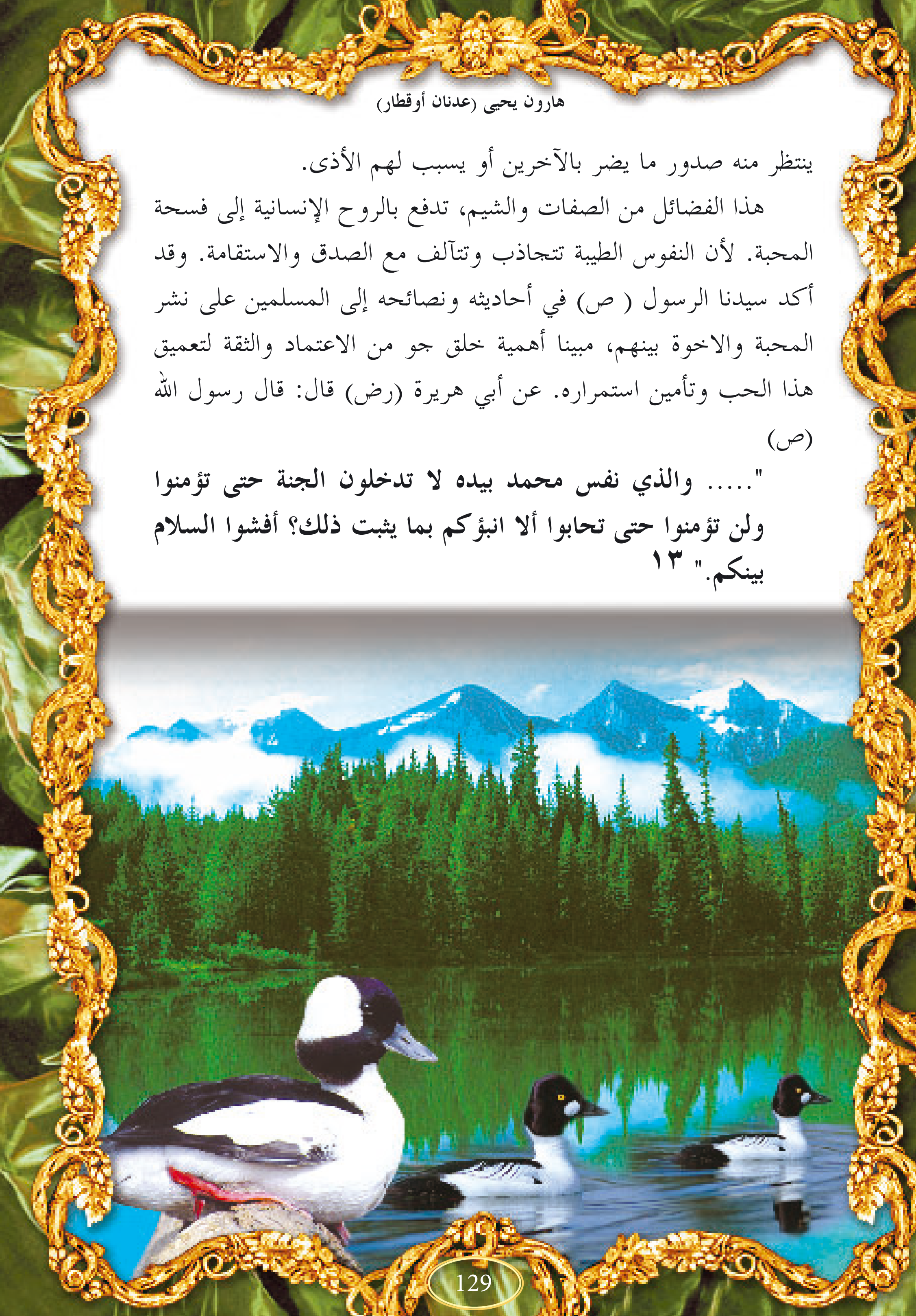
الاستقامة

إن من لا يخشون الله ولا يتقونه حق تقاته أسرع الناس إلى الكذب، هذه العادة السيئة من العراقيل البارزة أمام تحقق المحبة والتآلف وازدهارها. ولا يمكن إصلا ح ضررها إلا إذا بادر هذا الفرد إلى الاعتذار والاعتراف بخطئه وتقصيره وعاهد على إصلاحه وعدم اللجوء إليه أو تكراره. ومن المعروف أن من يعتمد الكذب باستمرار لا يوثق به ولا ينظر إليه باطمئنان ولا يعرف صدقه من كذبه وتختلط الأمور معه. وليس لمثل هذا الإنسان حظ أو فرصة لكسب حب ورضا الآخرين. أما المؤمن فأنه لا يتنازل إلى درك اللجوء إلى الكذب حتى ولو كان وراء ذلك خسارته وأذاه ماديا ومعنويا. فالمؤمن مصدر ثقة واطمئنان واستقامة وصدق. لا يخفي الحقائق ولا يغير من طبيعة الأشياء. ليؤمن لنفسه كسبا أو منفعة. لا يعطي وعدا أو يقطع عهدا لا يقدر على الإيفاء به. والذي يعيش ويحيى على حدود الأخلاق الإسلامية يكون أبعد ما يكون عن الكذب مهما كبر أو صغر. يتحاشى اللجوء إلى تغيير الحقائق لأجل تأمين مصلحة أو حتى دفع ضرر وأذى عنه ولا يتظاهر بمظهر كاذب خادع. كما لا يمكن أن

ينتظر منه صدور ما يضر بالآخرين أو يسبب لهم الأذى.

هذا الفضائل من الصفات والشيم، تدفع بالروح الإنسانية إلى فسحة المحبة. لأن النفوس الطيبة تتجاذب وتتآلف مع الصدق والاستقامة. وقد أكد سيدنا الرسول (ص) في أحاديثه ونصائحه إلى المسلمين على نشر المحبة والاخوة بينهم، مبينا أهمية خلق جو من الاعتماد والثقة لتعميق هذا الحب وتأمين استمراره. عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله (ص)

"..... والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا انبؤكم بما يثبت ذلك؟ أفشوا السلام بينكم." ١٣



أن تكون صابرا

ورد في القرآن الكريم

﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء /١٢٨)

هذه الآية تلمح إلى وجود بعض أمارات السوء في النفس الإنسانية.

أما تصفية وتنقية النفوس من هذه الإمارات السيئة فواجب ومطلوب من المؤمنين، فبدون تطهير قلبه وتصفيته وتنقية روحه من الاردان لا يكون مستحقاً لدخول جناته التي تتنزه عن مثل هذه الخبائث. ورغم ذلك فإن الإنسان معرض بشكل دائم وطوال حياته وحتى إلى آخر لحظات عمره،



إلى الوقوع في الخطأ والزلل.

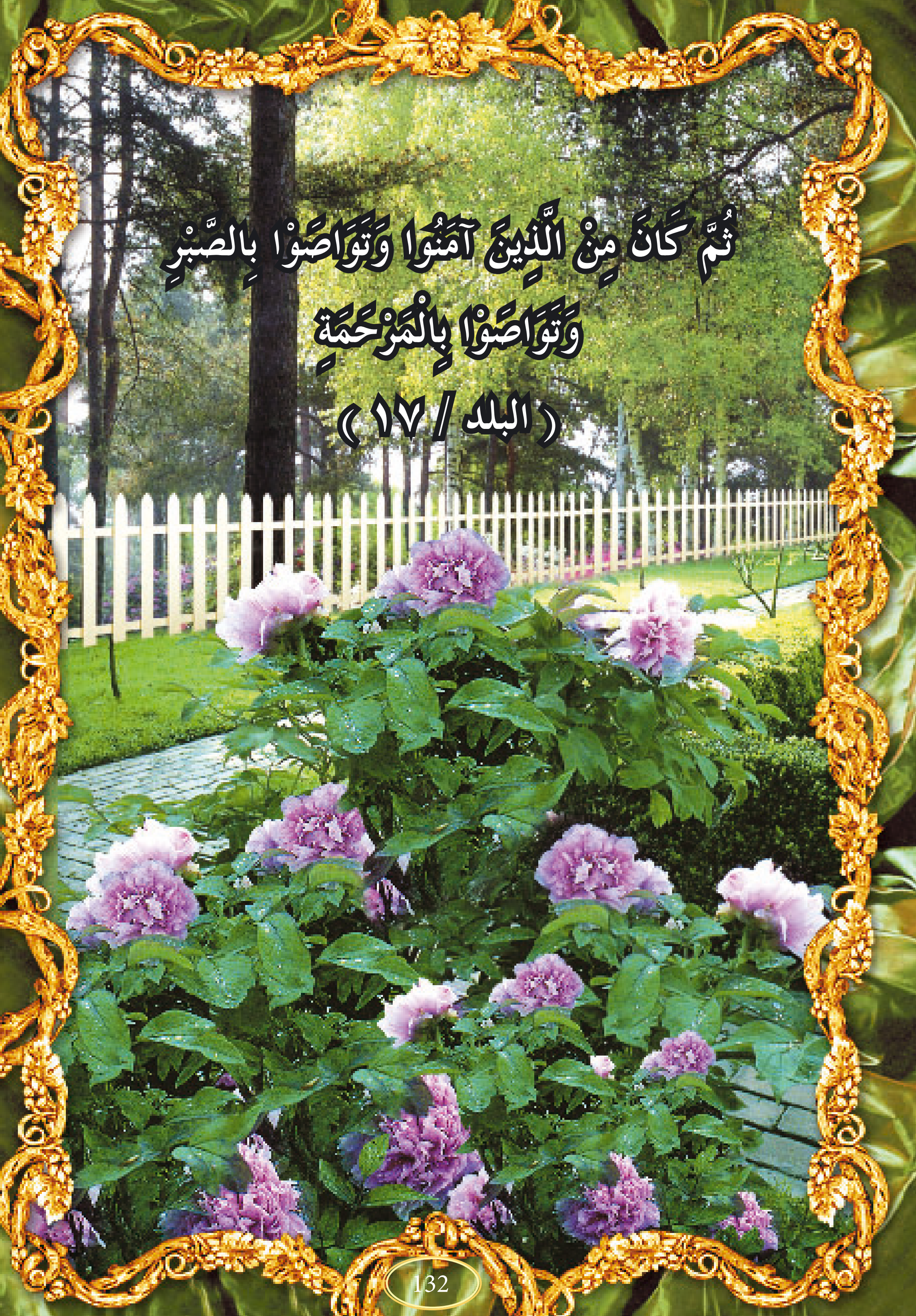
إن عدم نسيان هذه الحقيقة والواقع، من شرائط العيش ضمن دائرة المحبة والصداقة. إن الذي يحب يصبر على الأذى والأخطاء الصادرة من غيره، ولا يضخم زلاته أو يبحث عن كشف أخطائه بل يعاون في تلافيها. المحبة والتآلف يستوجبان الصبر والتحمل ونكران الذات. كما وأن الصبر أمام الأخطاء يزيد من تقوية أواصر المحبة وتنميتها وازدهارها. والمؤمنون ينظرون إلى غيرهم بهذه النظرة من التسامح والصفح والعفو، ولا عجب فأن الثقة والاطمئنان من شمائل المسلمين.

إن المسلم عندما يبذل ويجاهد لاكتساب المزيد من أخلاق القرآن وتعاليمه فأنه إلى جانب فوزه بمحبة أخيه المسلم لتواضعه معه وتعامله بشفافية تعتمد الثقة والتسامح، يكون قد وصل إلى درجة من الأخلاق السامية لما يتمتع به من صبر على الأذى والعفو عن زلات المؤمنين. ويأمرنا رسولنا الكريم(ص) بالستر وعدم فضح أخطاء الآخرين وإبداء العون إلى المؤمن لتلافي الوقوع في شباك الخطأ والزلل:

" من ستر عيب مسلم، ستره الله يوم القيامة ومن أعان مسلما على مصيبة أعانه الله يوم القيامة ومن قضى حاجة أخيه قضى الله حاجته." ١٤

و يختلف مفهوم الصبر عند المؤمنين مع ما تعانيه هذه الكلمة من مفهوم في المجتمعات الجاهلية. ففي الأخيرة يبدي الشخص تحملا وصبرا إذا ما توقع مصلحة أو فائدة أو يتوقى أذى يتوقع أن يصيبه أو سوء معاملة ونظرة غير مستحبة تجاهه من المجتمع. ولقاء هذا التحمل والصبر فإنه يتباهى ويشاكس ويعلن نفسه صاحب حق وكأن لسان حاله يقول

" إن من حقي أن أفعل ما أشاء لقاء صبري وتحملي هذه المصاعب"


ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ
(البلد / ١٧)



فالإنسان غير المتحلي بأخلاق القرآن لا يتوانى عن إظهار الضجر والملل والشكوى والتأفف من جراء معاونة صديقه المريض – مثلا-. ويكثر من ألفاظ وأقوال تدل على إظهاره مدى تعبه وإرهاقه من جراء سهر الليالي ويتحمل ما لا يستطيع تحمله أحد غيره، ويبالغ في إظهار تعبه وإرهاقه وانزعاجه، ويكرر ذكره فضله الكبير على صديقه المريض.

أما المؤمن الصبور فإنه يلبي طلبات وحاجات من يكن له المحبة والصداقة ويبذل ما يستطيع من عون ومساعدة بكل شوق ورغبة صادقة وإخلاص وبشكل مريح وجميل لا يشعر بأي بادرة لفضل أو منة. ولهذا فإن الصبر من أجمل ما وصفه الله تعالى من فضائل الأخلاق.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَلَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَآل ﴾ (عمران / ٢٠٠)

أن يكون صادقا

من عوامل الشعور بالحب والألفة تجاه أي فرد، يأتي الصدق أولا. يخبرنا الله تعالى أن المؤمنين يكافئون بسبب صدقهم. وهذا الخلق الجميل الذي يمتدحه الله في قرأنه يدفع المؤمنين إلى التمسك والالتزام به بقوة. وهذا أيضا من صفات



المؤمنين كما تؤيدها الآية الكريمة:

إن المؤمن لا يتنازل في أحلك الظروف وأصعبها عما تفرضه صفة الصدق تجاه ربه وتجاه عموم المؤمنين. ويعطينا ربنا مثالا من شباب المؤمنين من قوم

-موسى(ع) -لما امتازوا به من التمسك بهذا الخلق الكريم:

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (يونس/٨٣-٨٤)

لقد عاش الأنبياء الكرام عليهم السلام والمؤمنون بهم تحت ظروف صعبة من التهديد بالقتل وسلب الأموال والمراكز منهم والافتراء عليهم واتهامهم بمختلف الأوصاف والتهم الباطلة. ورغم كل هذا بقي المؤمنون متحدين ومتراصين متساندين بسبب محبتهم لله ربهم وخشيتهم منه وحده ولا أحداً غيره، متجاوزين بذلك جميع المحن والصعاب, غير خائفين ولا وجلين. هذا الارتباط الصادق بربهم دفعهم إلى هذا التماسك والتعاضد وكان سببا ودافعا للشعور بالحب والعلاقة المتينة، وبوتائر عالية من الشوق والاندفاع الشديد. ويخبرنا الله في القرآن عن وصفه المؤمنين هذه الآية:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا



بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات / ١٥)

أن تكون رحيما

الرحمة جزء وشوق للمحبة. لا بد أن نعرف عن معاني الرحمة الشيء الكثير لكي ندرك معنى المحبة بشكل صحيح وعميق. وخير مثال لهذا ما امتاز به نبينا (ص) من صفات الرحمة، وهو بذلك خير قدوة لجميع المسلمين وفي كل الأوقات والأزمنة. يقول الله تعالى عن ذلك:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة /١٢٨)

و من يتصف بالرجمة لا يمكنه أن يقبل أو يصبر أو يسكت على آلام الناس من حوله، بل يعطيهم الاهتمام اللازم ويحرص على مصالحهم وراحتهم بنفس الاهتمام الذي يعطيه لنفسه وربما أكثر من ذلك. ومن يحمل بذور الرحمة في قلبه يهتم بأمور الناس ويشاركهم بقدر ما يقدر على حلّ مشاكلهم ورفع التبعات عن كواهلهم. ويخبرنا رسولنا (ص) أن المؤمنين يحملون في قلوبهم الرحمة تجاه جميع البشر وكافة المخلوقات حيث يقول (ص) :

(" لن تؤمنوا حتى ترحموا" قالوا يا رسول الله كلنا



رحيم. قال " إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنهارحمة الناس، رحمة العّامة".) [15]

لإنسان يفكر بآخرة من يحب

الحياة الحقيقة للإنسان تبدأ حين وفاته وفراقه الحياة الدنيا وانتقاله إلى الحياة الآخرة. والدنيا هي دار مؤقتة يبقى فيها للامتحان والاختبار. والمؤمنون الذين يشعرون بهذه الحقيقة يعدون ويتهيئون للحياة الأخرى الأبدية الباقية ويظهرون ما بينهم من آيات الحب والمرحمة والرأفة فكما هم يحبون كسب رضا الله ورحمته ونيل نعيم الجنة، فإنهم يبدون نفس الرغبة لإخوانهم المؤمنين. وهم أيضا يسعون ويجاهدون ويتساندون إلى دفع بعضهم البعض لمزيد من الأعمال الصالحة وكسب رضا الله، يدفعهم يقينهم بعذاب الله وعذاب النار والخلود فيها إلى أبد الآبدين. فتراهم

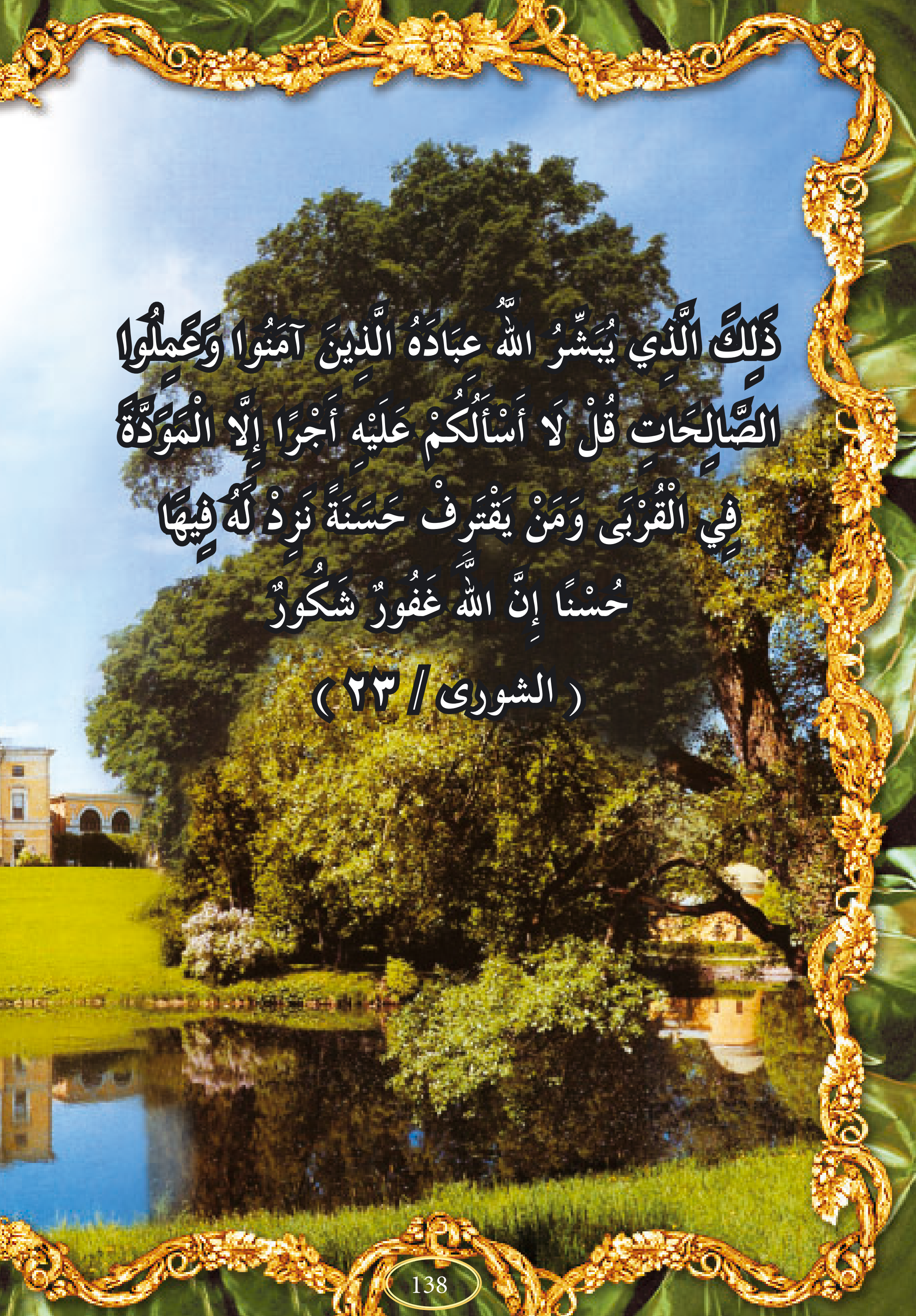


يتناصحون ويتذاكرون فيما بينهم ويدعو بعضهم بعضا للتحلي بالأخلاق القرآنية لترك كل ما هو قبيح ومكروه وفعل كل ما هو جميل وحسن من الأعمال دون إضاعة للوقت وللفرصة. وهم يفعلون ذلك باندفاع وشوق وإظهار عظيم محبتهم وارتباطهم الأخوي الوثيق. ويصفهم القرآن الكريم مادحا لهم ومثنيا عليهم لعملهم في سبيل تأمين آخر تهم:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة /٧١)

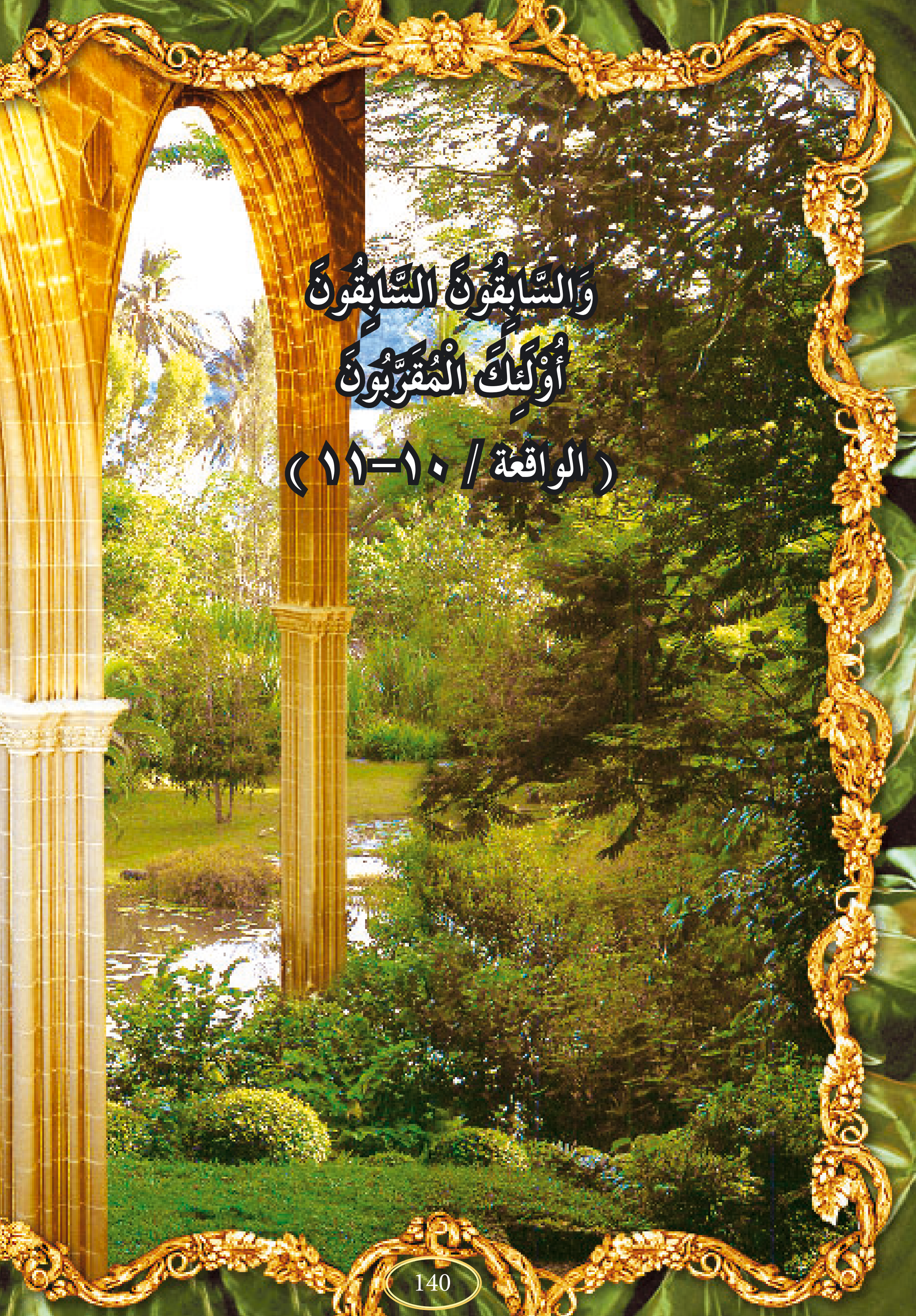
في المحبة الصادقة، يؤثر الطرف الآخر على النفس

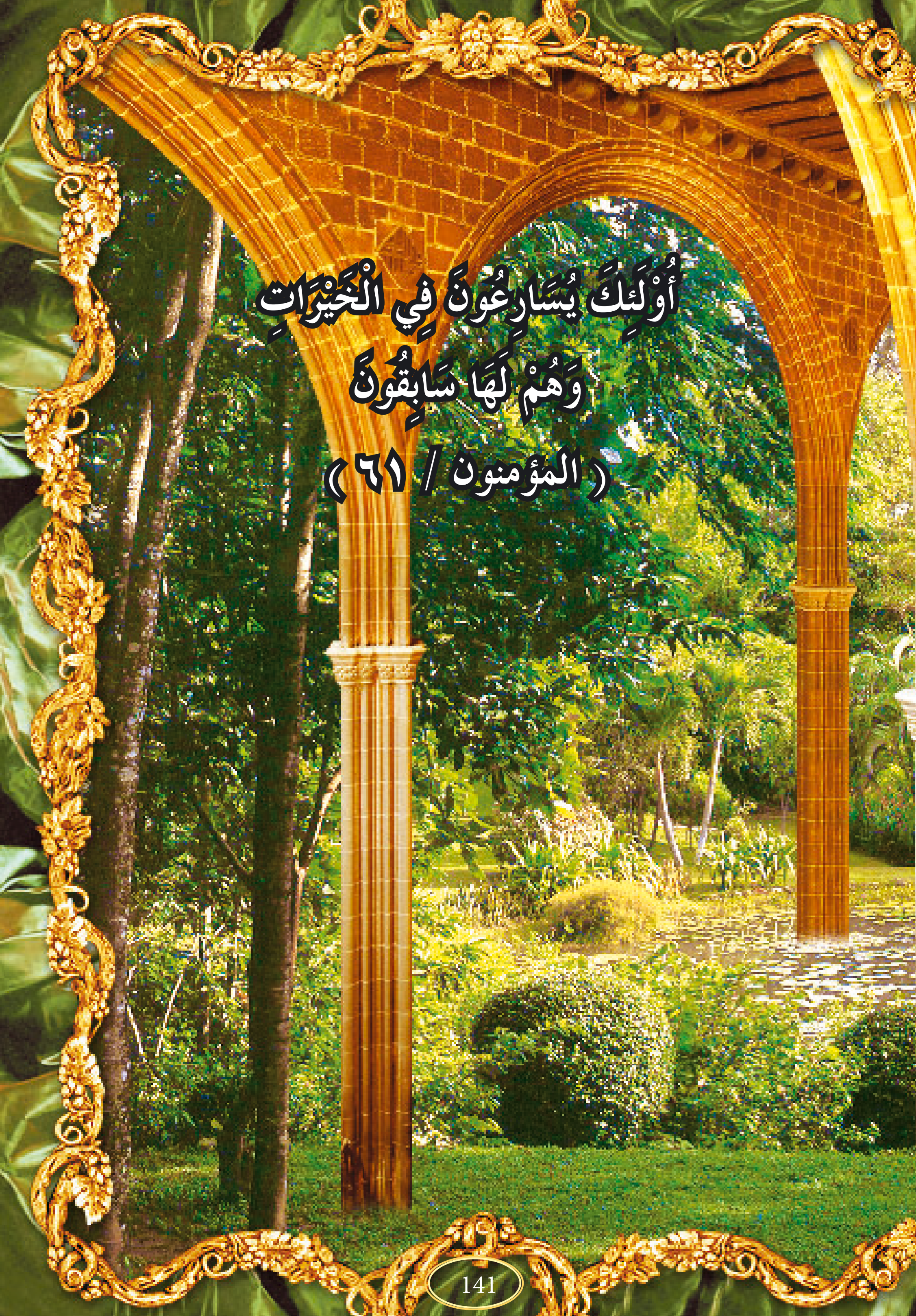
يعتبر الإنسان راحته من أهم المواضيع التي تشغل باله في حياته.


ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ
فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا
حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ
(الشورى / ٢٣)



ولكن الأمر ينعكس في حالة الحب. إذ يكون الطرف الآخر هو الذي يفوز ويحتل الموقع الأفضل على الذات، وينال الرعاية والجهود. وعلى سبيل المثال، إذا قام شخص بإنجاز عمل مشاركة مع من يحب من أصحابه، فإنه يفضله على نفسه ويقدمه لنيل الثناء والمديح والجوائز، بل ويحس بالغبطة إذا ما شاهده في موقع - والمقام الأول. وإذا كان العمل المطلوب إنجازه يحتاج إلى قوة بدنية وجهد وتعب فإنه يتطوع للقيام بذلك قبل صاحبه. ومن المؤكد أنه لن يظهر أي بوادر أو مظاهر من شأنه - أو تجريح أو تحقير من يحب. كل هذا لسبب وجيه في حالة كون الإيمان هو المحور الذي تدور حوله العلاقة، ألا وهو الغاية والهدف النبيل المتوخى، رضا الله ومحبته ونعيمه الموعود. ولا شك لن يعلو أي هدف أو غاية على نيل رضا الله كبديل لهذه التضحية والإيثار.


وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ
(الواقعة / ١٠-١١)


أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ
(المؤمنون / ٦١)



الخاتمة

إن ما دفعنا لكتابه هذا المؤلف في موضوع المحبة والحب في الله، هو اهتمامنا الذي تركز في إعطاء ما يستحقه لما يشكله من اسس وقواعد أخلاق أهل الجنة.

وينبغي لمن يرغب ويهدف إلى الفوز برضا الله تعالى وكسب محبته ورحمته ودخول جناته خالدا فيها مع الصديقين والانبياء والشهداء والصالحين أن يتعلم كيف يسلك طريق المحبة وكيف يحب، وماذا عليه فعله ليكسب محبة الغير. وهذا لأن من صفات أهل الجنة المخلدون فيها، حبهم بعضهم بعضا وتآلفهم في إخاء وصداقة أبدية.

التعلق بالله هو السبيل والوسيلة إلى دخول جنات النعيمو البقاء فيها خالدا في عيشة راضية. ففيه أيضا الفوز برضا الله والدخول في زمرة أحبائه ومحبيه الذين وصفهم القرآن بأنهم : المتقون – (التوبة/٤)، المطهرون – (التوبة –١٠٨) المقسطون – (الحجرات/٩)، المحسنون – (البقرة/١٩٥)، التائبون – (البقرة٢٢٢)، الصابرون – (آل عمران/١٤٦)،


اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ
يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
البقرة /٢٥٧



والمتوكلون- (آل عمران/١٥٩).

و خير مثال لفهمنا وإدراكنا أهمية ومعنى الحب، ما ورد في دعاء رسولنا الاكرم(ص)، روي عنه أنه قال في إحدى أدعيته:

" اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب مايقربني إلى حبك واجعل حبك اليّ من الماء البارد." ١٦



انهيار الدّاروينية

لقد ظهرت النظرية الدّاروينية، يعني نظرية التطور بهدف رفض فكرة الخلق، بيد أنها لم تنجح في ذلك، واُعتبرت مجرد سفسطة خارجة عن نطاق العلم. وهذه النظرية تدّعي أن الكائنات الحية تولدت بطريق المصادفة من الكائنات غير الحية، وقد تم ردها ونقضها بعد أنّ أثبت العلم أنّ الكون والكائنات الحية تحتوي على أنظمة غاية في الإعجاز. وعلى هذا النحو أثبت العلم كذلك أن الله تعالى هو خالق الكون وخالق جميع الكائنات الحية.

وهذه النظرية لا تقوم سوى على مناقضة الحقائق العلمية والأكاذيب التي ترتدي لباس العلم وجملة من التزييفات، وقد تم القيام بحملة واسعة على نطاق العالم لكي تبقى هذه النّظرية قائمة على أقدامها، غير أن هذه الحملة لم تتمكن من إخفاء الحقيقة.

لقد تعالت الأصوات خلال الثلاثين سنة الماضية في دنيا العلم تبيّن بأن نظرية التطور تمثل أكبر خديعة في تاريخ العلم. وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت بشكل خاص اعتبارًا من عام ١٩٨٠ بأنّ الإدعاءات الدّاروينية عارية تماما من الصّحة، وقد تم التصريح بذلك من قبل العديد من كبار رجال العلم. ففي

الولايات المتحدة بشكل خاص، صرح الكثير من علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية وعلم الحفريات وغيرها من العلوم الأخرى بأن الداروينية وصلت إلى طريق مسدود وأنّ أصل الكائنات الحية هو الخلق. واليوم تؤكد التطوّرات العلمية بأن الكون وجميع الكائنات الحية قد خُلقت من قبل الله تعالى.

لقد تناولنا مسألة انهيار نظرية التطور ودلائل الخلق في مواضع كثيرة من أعمالنا، وسوف نُواصل ذلك في أعمال أخرى. ولكن بالنظر إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع رأينا أنه من الفائدة إيراد ملخص لذلك في هذا الموضع أيضا.

الانهيار العلمي للنظرية الداروينية

بالرغم من أن هذه النظرية تعود في جذورها إلى التاريخ الإغريقي القديم، إلا أنها شهدت أوسع انتشار لها في القرن التاسع عشر . كان أهم تطور شهدته النظرية هو صدور كتاب تشارلز داروين "أصل الأنواع" الذي صدر عام ١٨٥٩. في هذا الكتاب ينكر داروين أن الأنواع المختلفة على الأرض قد خلقها الله. يقول داروين أن جميع الكائنات الحية لها جد مشترك وأنها قد تنوعت واختلفت بسبب اختلافات طارئة متدرجة أتت عليها عبر الأزمان.

وكما يقر داروين نفسه، فإن نظريته لا تقوم على أي حقيقة علمية ثابتة، بل إنها مجرد "إفتراض". علاوة على ذلك، يعترف داروين في فصل مطول من كتاب بعنوان "المصاعب التي تواجهها النظرية" أن النظرية تتهاوى أمام العديد من الأسئلة الحرجة.

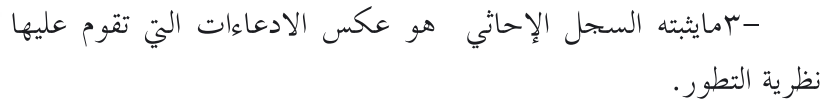
عقد داروين آماله على الاكتشافات العلمية التي كان يظن أنها ستزيل العقبات التي تواجهها نظريته، إلا أن ما أثبتته هذه الاكتشافات جاء عكس

ما تمناه الرجل.

وتظهر هزيمة داروين أمام العلم الحديث من خلال ثلاث نقاط رئيسية:

١- لم تتمكن هذه النظرية بأي وسيلة من الوسائل أن تفسر كيف نشأت الحياة على وجه الأرض.

٢- لا يوجد أي اكتشاف علمي يدل على قدرة "التقنيات التطورية" التي تفترضها النظرية على التطور في أي حال من الأحوال.



٣-مايثبته السجل الإحاثي هو عكس الادعاءات التي تقوم عليها نظرية التطور.

سنناقش في هذا الفصل هذه النقاط الثلاث الرئيسية:

العقبة الأولى التي لم تذلل: أصل الحياة

تقول نظرية التطور أن جميع الكائنات الحية قد تطورت عن خلية وحيدة ظهرت على سطح الأرض البدائية منذ ٣,٨ ملايين سنة. ولكن كيف يمكن لخلية وحيدة أن ينشأ عنها الملايين من الأنظمة والأنواع الحية؟ وإذا كان هذا التطور قد حدث فعلاً فلماذا لم تظهر علائمه في السجلات الإحاثية ، هذا سؤال لم تتمكن النظرية الإجابة عليه. إلا أن السؤال الأول الذي بقي يواجه هذه النظرية، التي لم تجد جوابا عليه حتى الآن، هو كيف نشأت "الخلية الأولى".

تفسر نظرية التطور، التي لا تعترف بالخلق ولا تقبل بوجود خالق،

نشوء الخلية الأولى على أنها أتت عن طريق الصدفة التي تتضمنها قوانين الطبيعة. حسب هذه النظرية تكون المادة الحية قد نشأت من مادة غير حية نتيجة للعديد من المصادفات، ومن المؤكد أن هذا الزعم لا يتوافق مع أبسط قواعد علم الأحياء.

الحياة تنشأ من الحياة

في هذا الكتاب، لم يتطرق داروين إلى أصل الحياة. فقد كان الفهم البدائي لحقيقة الحياة في عصره يعتمد على الإفتراض بأن الكائنات الحية ذات بنيات بسيطة جداً. لقد لاقت نظرية النشوء التلقائي التي انتشرت في القرون الوسطى، والتي تقول أن المواد غير الحية تجمعت من تلقاء نفسها لتشكل كائن حي، رواجاً واسعاً في ذلك الزمن. من الاعتقادات التي نتجت عن هذه النتيجة هي أن الحشرات تنشأ عن بقايا الطعام، وأن الجرذان تأتي من القمح. هنا يجدر بنا أن نتعرض لتجربة مضحكة قام بها البعض، حيث تم وضع بعض القمح على قطعة وسخة من القماش، وكان المنتظر أن يخرج جرذاً بعد برهة من الزمن.

ومن المنطلق ذاته كان يعتقد أن الديدان تخرج من اللحم؛ إلا أنه لم يلبث العلم أن أثبت أن الديدان لا تخرج من اللحم بشكل تلقائي، وإنما يحملها الذباب بشكل يرقانات لا ترى بالعين المجردة.

كان هذا الاعتقاد سائداً في الزمن الذي كتب فيه داروين كتاب "أصل الأنواع" ، فقد كان يعتقد بأن البكتريا جاءت إلى الوجود من مادة غير حية وكان هذا الاعتقاد مقبوا علمياً.

لم يطل الوقت حتى أعلن باستور نتائج دراساته الطويلة وأبحاثه الكثيرة التي تدحض أساس نظرية داروين. قال باستور في محاضرته التي أعلن فيها

عن انتصاراته في السوربون عام ١٨٦٤:

"لا يمكن أن تستفيق نظرية النشوء التلقائي من الضربة الصاعقة التي أصابتها بها هذه التجربة البسيطة." ١٧

قاوم المدافعون عن النظرية الداروينية اكتشافات باستور لوقت طويل. إلا أن ماجاء به باستور بالإضافة إلى ما كشف عنه التقدم العلمي من البنية المعقدة لخلية المادة الحية، أبقيا فكرة وجود الحياة على سطح الأرض عن طريق الصدفة في مأزق لم تستطع الخروج منه.

المحاولات العاجزة في القرن العشرين

إن أول من تبنى موضوع منشأ الحياة في القرن العشرين كان التطوري المشهور ألكسندر أوبارين. تقدم هذا العالم بالعديد من الآراء العلمية في الثلاثينيات من ذلك القرن، حاول من خلالها إثبات إمكانية تطور خلية الكائن الحي عن طريق الصدفة. إلا أن دراساته لم تنته إلا بالفشل، مما حدا بأوبرين تقديم الاعتراف التالي: " للأسف، بقيت مشكلة منشأ الخلية الأولى أكثر النقاط غموضاً في دراسة تطور الأنظمة الحية".١٨

حمل التطوريون بعد أوبرين مسؤولية حل مشكلة منشأ الحياة. وكان أكثر هذه التجارب شهرة تلك التي قام بها الكيميائي الأمريكي ستانلي ميللر عام ١٩٥٣. قام هذا العالم بدمج عدد من الغازات التي يفترض أنها كانت موجودة في المناخ البدائي للأرض، وأضاف إليها مقدار من الطاقة. من خلال هذه التجربة تمكن ميللر من تركيب عدد من الحموض الأمينية (الجزيئات العضوية) التي تتواجد في تركيب البروتينات.

إلا أنه لم تمض عدة سنوات حتى ثبت بطلان هذه النظرية، التي كانت تعتبر خطوة رائدة في تقدم نظرية التطور، فالمناخ الذي استخدم في هذه

التجربة كان مختلفاً جداً عن الظروف الأرضية الحقيقية.[١٩]

وبعد فترة من الصمت اعترف ميللر أن المناخ الذي استخدمه في تجربته كان غير حقيقياً.[٢٠]

لقد باءت جميع محاولات التطوريين في إثبات نظريتهم في القرن العشرين بالفشل. يعترف العالم الجيولوجي بادا من معهد سكريبس في سانت ياغو بهذه الحقيقة في مقالة نشرها مجلة "الأرض" عام ١٩٩٨:

"ها نحن اليوم نغادر القرن العشرين دون أن نتمكن من حل المشكلة التي بدأنا القرن معها وهي : كيف بدأت الحياة على الأرض؟"[٢١]

البنية المعقدة للحياة

السبب الرئيسي الذي أوقع نظرية التطور في مأزق "كيف بدأت الحياة" هو أن الكائنات الحية، حتى البسيطة منها، تنطوي على بنيات في غاية التعقيد. فالخلية الواحدة من الكائن الحي أكثر تعقيداً من أي منتج تقني صنعته يد البشر. فحتى يومنا هذا لا يمكن لأي مختبر كيميائي مهما بلغت درجة تطوره أن ينجح في تركيب خلية حية من خلال تجميع عدد من المواد العضوية مع بعضها.

إن الظروف المطلوب توفرها لتركيب خلية حية هي أكثر بكثير من أن تُعرض. فإمكانية تركيب أحد البروتينات التي تعتبر حجر الأساس في الخلية بشكل عشوائي هي ١ إلى $١٠^{٩٥٠}$ وهذا بالنسبة لبروتين مكون من ٥٠٠ حمض أميني؛ وفي الرياضيات يعتبر أي احتمال أصغر من ١٥٠ مستحيلاً!

إن جزيء الـ DNA الذي يتواجد في نواة الخلية والذي يخزن المعلومات الوراثية، هو في حد ذاته بنك معلومات معجز. فلو أن المعلومات المشفرة في جزيء DNA قد أفرغت كتابة فإنها ستشغل مكتبة عملاقة

مكونة من ٩٠٠ مجلداً من الموسوعات كلا منها يتألف من ٥٠٠ صفحة.

وهنا تنشا مشكلة أخرى مثيرة: فجزيء الــ DNA لا يمكنه أن يتضاعف إلا بمساعدة بعض البروتينات المختصة (الأنزيمات)، وهذه الأنزيمات لا يمكن أن تتشكل بدورها إلا من خلال المعلومات المشفرة في جزيء الــ DNA. وبما أن كل منهما يعتمد على الآخر ، فمن الضروري أن يتواجدا في الوقت نفسه عند عملية التضاعف.وهذا يأتي بالنظرية القائلة أن الحياة قد نشأت من تلقاء نفسها إلى طريق مسدود. وقد اعترف البروفسور ليسلي أورجيل ، وهو تطوري مشهور من جامعة سانت ياغو كاليفورنيا بهذه الحقيقة من خلال موضوع نشر في مجلة العلوم الأمريكية عام ١٩٩٤:



"من المستحيل أن تكون البروتينات والحموض الآمينية، وكلاهما جزيئات معقدة، قد نشأت من تلقاء نفسها في نفس الوقت وفي نفس المكان. أضف إلى عدم إمكانية تواجد أحدهما دون الآخر . وهكذا ومن النظرة الأولى يجد أحدنا أنه من المستحيل أن تكون الحياة قد نشأت من خلال عمليات كيميائية بحتة"٢٢

لا شك أنه إذا كان من المستحيل أن تنشأ الحياة من أسباب



طبيعية، فلا بد أنها قد "خلقت" بيد خالق. هذه الحقيقة تلغي نظرية التطور ، والتي تهدف بالدرجة الرئيسية إلى إنكار الخلق، من أساسها.

الأفكار الخيالية لنظرية التطور

النقطة الثانية التي تدحض نظرية داروين هي أن كلا المفهومين اللذين وضعتهما النظرية كـــ "تقنيات تطورية" ثبت أنها في الحقيقة لا تملك أي قوة تطورية.

لقد اعتمد داروين في خدعة التطور التي خرج بها على فكرة "الإصطفاء الطبيعي". وقد ضمن هذه الفكرة في كتابه: "أصل الأنواع ، عن طريق الاصطفاء الطبيعي..."

يقول قانون الاصطفاء الطبيعي أن الكائنات الحية التي تمتلك خصائص قوية فقط هي التي يمكن أن تبقى في معركة الحياة. على سبيل المثال، عندما تهاجم الحيوانات المتوحشة قطيعاً من الغزلان، فإن الغزلان الأقوى والتي يمكنها أن تركض بسرعة أكبر هي التي ستنجوا وتبقى على قيد الحياة. وهكذا يتشكل قطيع جديد من الأقوياء والسريعين فقط. ولكن، ولنفترض أننا سلمنا بهذا جدلاً، فهل يمكن لهؤلاء الأقوياء من قطيع الغزلان أن يتطوروا بأي شكل من الأشكال ليصبحوا خيولاً مثلاً؟ بالطبع لا.

لذلك نقول أن هذه الفكرة لا قوة تطورية لها. داروين نفسه كان قلقاً بشأن هذه الحقيقة التي وضعها في كتابه أصل الأنواع حيث قال:

"لا يمكن لقانون الاصطفاء الطبيعي أن يحقق شيئاً ما لم تحدث تغييرات فردية إيجابية" ٢٣.

تأثير لامارك

ولكن كيف تحدث هذه "التغيرات الإيجابية"؟ حاول داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفهم البدائي للعلوم في ذلك الوقت. فحسب نظرية لامارك الذي عاش قبل داروين، فإن الكائنات الحية تورث صفاقما التي اكتسبتها خلال حياقما إلى الأجيال التالية ، وهذه الصفات تتراكم من جيل إلى آخر لتشكل أنواع جديدة من الكائنات الحية. فحسب لامارك، الزرافات هي كائنات تطورت عن الظباء عندما كانت تجاهد من أجل الوصول إلى الثمار التي تحملها الأشجار العالية، فطالت رقبتها من جيل إلى آخر حتى استقرت على هذا الطول.

وباقتفاء أثره، أورد داروين مثالاً مماثلاً في كتابه فقال أن الدبب غطست في الماء أثناء بحثها عن الطعام فتحولت إلى حيتان على مر الأجيال".[٢٤]

إلا أنه ما لبثت أن ظهرت قوانين الوراثة على يد العالم ماندل في القرن العشرين، مما أحبط أسطورة امتداد الصفات عبر الأجيال. وهكذا سقط الاصطفاء الطبيعي كدعامة من دعامات نظرية التطور.

الداروينية الجديدة والطفرات

ومن أجل الوصول إلى حل، قام الداروينيون بتطوير "نظرية تركيبية جديدة" أو ما يدعى بـــ "الداروينية الجديدة" في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. أضافت الداروينية الجديدة نظرية "الطفرات"وهي تشوهات جينية تطرأ على الكائن الحي وتحدث بفعل تأثيرات خارجية مثل التعرض إلى الإشعاعات وأخطاء في تضاعف الــ DNA، بالإضافة إلى الطفرات الطبيعية.

و النموذج الذي يقف مدافعاً اليوم عن نظرية التطور هو الداروينية الجديدة.تقول هذه النظرية الجديدة ـــأن الملايين من الأحياء المتواجدة على سطح الأرض قد جاءت نتيجة لطفرات طرأت على الأعضاء المعقدة لهذه الكائنات مثل الآذان والعيون والرئات والأجنحة، أي إضطرابات وراثية. إلا أن الحقيقة العلمية تأتي في عكس الاتجاه المطلوب. فالطفرات لم تكن في يوم من الأيام إيجابية تؤدي إلى تقوية وتعزيز القدرة الحيوية الكائن الحي، وإنما إلى إنهاكها وإضعافها..

والسبب وراء هذا ببساطة هو أن جزيء DNA يحمل بنية معقدة جداً وأي تغيير عشوائي فيها سيؤدي ضرراً كبيراً. يشرح عالم الجينات رانغاناتان الموضوع كالتالي:

"أولاً، الطفرات الجينية نادرة الحدوث. ثانياً الطفرات في معظمها ضارة ومهلكة في بعض الأحيان لأنها تغيرات عشوائية ، وأي تغير غير منظم، علاوة على المنظم ، في أي كائن حي راقييتنحدر به نحو الأسوء ولا ترتقي به إلى الأفضل. فالهزة الأرضية التي قد تصيب أحد الأبنية على سبيل المثال، ستتسبب في تغيير في الإطار العام لها، وهذا بالطبع ما لن يكون تحسيناً في البناء."[٢٥]

لهذا ليس غريباً غياب أي دليل على وجود طفرة كانت السبب في تغيير الشفرة الوراثية نحو الأفضل. على العكس فجميع الطفرات كانت ناكسة . أصبح واضحاً إذاً أن الطفرة التي اعتبرت من تقنيات التطور لا تجلب على الكائن الحي إلا المزيد من الضعف وتجعله عاجزاً. (من التأثرات الشائعة للطفرة في العصر الحديث مرض السرطان). وطبيعي أن لا تكون تقنية مدمرة من تقنيات "التطور"، كما لا يمكن لـــ "الاصطفاء الطبيعي " أن ينجز شيئاً بنفسه. وهذا يعني أنه لا يوجد تقنيات تطور في الطبيعة.



وبانتفاء وجود هذه التقنيات تنتفي عملية التطور.

السجلات الإحاثية:
لا دليل على وجود أشكال مرحلية

في الحقيقة لا يوجد أي دليل في سجل المستحاثات على أكثر الادعاءات وضوحاً في سيناريو نظرية التطور.

حسب نظرية التطور، فإن كل كائن حي قد نشأ عن كائن قبله، أي أن الكائنات السابقة قد تحولت إلى كائنات أخرى، وكل الأنواع نشأت بهذه الطريقة. وحسب النظرية، فإن هذه التحولات استغرقت ملايين السنين.

وإذا كان هذا الافتراض حقيقي ، فمن الضروري وجود عدد كبير من الأنواع المرحلية التي عاشت في فترة التحول الطويلة. على سبيل المثال لابد من وجود كائن نصفه سمكة ونصفه سلحفاة يحمل صفات السلحفاة بالإضافة إلى صفات الأسماك التي يحملها أصلاً. أو كائنات نصفها طير والنصف الآخر زواحف، أي تحمل بعض صفات الطيور بالإضافة إلى صفات الزواحف التي تحملها أصلاً. وبما أنها في الطور المرحلي، فهي كائنات عاجزة غير مؤهلة، ومعاقة؛ ويطلق التطوريون على هذه الأشكال الخيالية إسم "الأشكال التحولية"

لو كان هناك حيوانات كتلك حقاً، فيجب أن يكون هناك الملايين بل البلايين منها وبشكل متنوع. والأهم من ذلك يجب أن تحمل سجلات المستحاثات بقايا هذه الأحياء الغريبة. يقول داروين في كتابه "أصل الأنواع":

"إذا كانت نظريتي صحيحة، فلابد من وجود عدداً كبيراً من الأنواع



المختلفة التي تصنف ضمن فئة واحدة، وهذا الوجود ستثبته السجلات الإحاثية". ٢٦

آمال داروين تتبدد

بالرغم من جميع محاولات التطوريين الجادة في إيجاد مستحاثات تدعم تصوراهم في وجود مخلوقات تحولية في منتصف القرن العشرين في جميع أنحاء العالم، إلا أهم لم يجدوا أ ياً منها . لقد أثبتت جميع المستحاث التي اكتشفت أثناء الحفريات الجيولوجية عكس ما قالت به النظرية الداروينية تماماً: لقد نشأت الحياة فجأة وبتشكل تام لا وجود لأي شكل تحولي.

أقر أحد علماء التطور، العالم الإنجليزي ديريك آغر Derek Ager بهذه الحقيقة عندما قال:

النقطة هي أننا عندما قمنا بتقصي السجل الإحاثي بالتفصيل سواء على مستوى الأنواع أو الترتيب الزمني المرة تلو المرة، لم نجد تطور تدريجي أو مرحلة انتقالية، وإنما ظهور مفاجئ لمجموعة من الكائنات على حساب أخرى. ٢٧

هذا يعني أن السجل الإحاثي يبرهن أن جميع الكائنات الحية قد ظهرت على الأرض بشكل مفاجئ بأشكالها التامة، ودون أي طور تحولي، وهذا عكس الإدعاء الدارويني تماماً وإثبات قوي على حقيقة الخلق. فالتفسير الوحيد لنشوء الكائنات الحية بشكل مفاجئ على سطح الأرض بشكلها الكامل ودون تطور عن أجداد سابقين، إنما يعني أن هذه الأنواع قد خلقت خلقاً. ويقر هذه الحقيقة عالم الأحياء التطوري دوغلائس فيوتويما:

"الخلق والتطور، وبينهما التفسيرات المحتملة عن أصل الكائنات الحية.

فإما أن تكون الأنواع قد ظهرت على سطح الأرض بتكوينها الكامل، أو لا

تكون. إذا لم يكن الأمر كذلك فهذا يعني أنها قد تطورت عن أنواع وجدت مسبقاً من خلال بعض عمليات التحول. أما إذا كانت قد ظهرت بشكلها الكامل ، فلابد أنها قد خلقت خلقاً[٢٨].

والمستحاثات تثبت أن الكائنات الحية قد نشأت بشكلها المكتمل على سطح الأرض، وهذا يعني أن "أصل الأنواع" ليس كما يدعي داروين، إنه خلق وليس تطور.

قصة تطور الإنسان

الموضوع الذي يحاول مؤيدوا نظرية التطور الكلام به دائماً هو موضوع أصل الإنسان. يدعي الداروينيون أن الإنسان الحالي قد تطور عن نوع من أشباه القردة. وخلال هذه العملية التطورية المزعومة، التي يفترض أنها استغرقت من ٤–٥ ملايين عاماً، ظهرت "أشكال تحولية" تفصل بين الإنسان الحديث وأجداده، كما يزعمون. وحسب هذه الصورة الخيالية البحتة، صنفت هذه الأشكال في أربعة فئات:

–١أوسترالوبيثيكوس

–٢هومو هابيليس.

–٣هومو أريكتوس

–٤هومو سابينس

يطلق التطوريون على الجد الأول للإنسان " أوسترالوبيثيكوس" ويعني "قرد جنوب إفريقيا".والحقيقة هو أن هذا المخلوق ليس إلا نوعا من القرود القديمة المنقرضة. أثبتت الأبحاث الواسعة التي أجراها عالما التشريح ، اللورد سولي زوكرمان والبروفسور تشارلز أوكسنارد، من إنكلترا والولايات المتحدة، على مستحاثات أوسترالوبيثيكوس أن هذه المستحاثات



تعود إلى أنواع عادية من القردة التي انقرضت والتي لا تحمل أي شبه مع الإنسان.[٢٩]

والفئة الثانية التي يصنفها التطوريون هي "هومو" وتعني "الإنسان" وحسب نظرية التطور، فإن سلالة الهومو أكثر تطوراً من سلالة أوسترالوبيثيكوس. وهنا اخترع التطوريون خطة مثيرة بتركيبهم لهدة مستحاثات من هذه المخلوقات ووضعها بترتيب معين. إلا أن تلك الخطة خيالية لأنه لم يثبت وجود أي علاقة تطورية بين هذه الفئات المختلفة. يقول أحد أهم المعلقين على نظرية التطور إيرنست ماير في كتابه "من المناظرات الطويلة: " تعتبر الأحجية التاريخية التي تتكلم عن أصل الحياة أو أصل الهومو سابينس أحجية صعبة حتى أنها تتعارض مع الاكتشافات الأخيرة."[٣٠]

ومن خلال السلسلة التي وضعها التطوريون فإن الفئات الأربع: أوسترالوبيثيكوس، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس ناشئة عن بعضها البعض. إلا أن الاكتشافات الأخيرة التي ظهرت على يد علماء المستحاثات البشرية قد أثبتت أن هذه الفئات الأربعأوسترالوبيثيكوس ، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس قد عاشت في بقاع مختلفة من العالم وفي زمن واحد.[٣١]

علاوة على هذا، فإن الأجزاء البشرية التي صنفت في فئة "هومو أريكتوس" لم تنقرض حتى وقت قريب جداً، أما النياندرتاليين والهوموسابينيس فقد تعايشوا في زمن واحد وفي منطقة واحدة.[٣٢]

هذا الاكتشاف يدحض الادعاء بأن أحد منهم يمكن أن يكون جداً للآخر. يفسر عالم الأحياء القديمة ستيفن جاي غولد Stephen Jay Gould من جامعة هارفارد النهاية المسدودة التي وصلت إليها نظرية

التطور، بالرغم من أنه عالم تطوري:

ماذا سيكون مصير فكرتنا إذا كان هناك تزامن معيشي لثلاث من فئات الهومو (الإفريقي والأوسترالوبيثيكوس القوي والهومو هابيليس) وثبت أن أحداً منهم لم ينشأ عن الآخر؟ أضف إلى أن أحدا من هؤلاء لم يثبت عليه أي تحول تطوري خلال فترة حياته على سطح الأرض.[٣٣]

نقول باختصار، أن سيناريو التطور البشري الذي ينص على وجود مخلوق نصفه إنسان ونصفه قرد والذي قام على استخدام العديد من الصور الخيالية التي ظهرت في الكتب الدعائية لنظرية التطور، ليست إلا قصة لا أساس لها من الصحة العلمية.

وبالرغم من كون العالم سولي زوكرمان، الأكثر شهرة في المملكة المتحدة، عالماً تطورياً، إلا أنه اعترف في نهاية أبحاثه، التي استغرقت عدة سنوات والتي تناولت بشكل خاص مستحاثات أوسترالوبيثيكوس لمدة ١٥ عاماً، أنه لا يوجد شجرة بشرية تتفرع عن مخلوقات شبيهة بالقرود.

صنف زوكرمان العلوم ضمن طيف أسماه "طيف العلوم" يتدرج من العلوم التي يعتبرها علمية لينتهي في العلوم التي يعتبرها غير علمية. وحسب طيف زوكرمان، فإن أكثر العلوم "علمية" — أي التي تقوم على بيانات ومعلومات ملموسة- هي الفيزياء والكيمياء، تليهما العلوم البيولوجية وفي الدرجة الأخيرة العلوم الاجتماعية. وفي نهاية الطيف تأتي العلوم "غير العلمية" والتي يحتل مكانها "الإدراك الحسي المفرط" — وهي مفاهيم الحاسة السادسة والتيليباثي (التخاطر عن بعد) — ويليها "التطور البشري". ويشرح لنا زوكر عمله هذا:

نحن هنا إذاً نتحول من الحقيقة المسجلة موضوعياً إلى تلك المجالات

التي يشغلها علم الأحياء الافتراضي، مثل الإدراك الحسي المفرط، أو التفسير التاريخي للمستحاثات الإنسانية، والتي يبدو فيها كل شيء جائز بالنسبة للتطوري، حيث يكون التطوري مستعداً لتصديق العديد من الأمور المتناقضة في وقت واحد.[٣٤]

لقد انحدرت قصة التطور البشري لتصل إلى مستوى التفسيرات المتحيزة لبعض المستحاثات التي استخرجها بعض الأشخاص الذين تعلقوا بهذه النظرية بشكل أعمى.

المعادلة الداروينية

إلى جانب كل ما تناولناه إلى الآن من أدلة تقنية ، نود أن نوجز ـــ إن شئتم ـــ وبمثال واضح بحيث يمكن حتى للأطفال أن يفهموه ، كيف أن التطوريين أولو عقيدة خرفاء فاسدة .

تزعم نظرية التطور أن الحياة تشكلت محض صدفة؛ وعليه وطبقاً لهذا الزعم فإن الذرات الجامدة وغير الواعية اجتمعت وشكلت أولاً خلية، ثم جاءت الذرات نفسها بطريقة أو بأخرى بالكائنات الحية والبشر. ولنفكر الآن: إننا حينما نجمع عناصر مثل الكربون والفسفور والأزوت والبوتاسيوم وهي المفردات الأساسية في بنية الكيان الحي، فإنه تتشكل كومة. ومهما مرت كومة الذرات هذه بأي من العمليات، فإنها لا يمكن أن تشكل كائنا حيا واحدًا. ولنجر تجربة في هذا الصدد إذا ما شئتم ، ولنتناول بالبحث والاستقصاء، باسم التطوريين وتحت عنوان "المعادلة الداروينية"، الزعم الذي ينافحون عنه في الأصل، إلا أنهم لا يستطيعون أن يجهروا به:

فليضع التطوريون كميات وفيرة من عناصر مثل الفسفور والأزوت والكربون والأوكسجين والحديد والماغنسيوم وهي العناصر التي تتشكل منها

بنية الكائن الحي، داخل أعداد هائلة من البراميل العظيمة. وليضيفوا حتى إلى هذه البراميل ما يرون أنه من الضروري وجوده داخل هذا المزيج من مواد لا توجد حتى في الظروف الطبيعية. وليفعموا هذا المزيج بقدر ما يشاؤون من الأحماض الأمينية، والبروتين (احتمال تشكل الوحدة الواحدة منه تصادفياً بنسبة ١٠ قوة ٩٥٠). وليمدّوا هذا المزيج بالحرارة والرطوبة بالنسبة التي يرونها مناسبة، وليخفقوه ما شاؤوا من الأجهزة المتطورة، وليقيّضوا على رأس هذه البراميل صفوة علماء العالم، ولينتظر هؤلاء الخبراء في مكانهم هذا وبشكل مستمر مليارات، بل تريليونات السنين بالتناوب من الأب إلى الابن، ومن جيل إلى جيل، ولتكن لهم مطلق الحرية في أن يستخدموا كافة ما يعتقدون في ضرورة وجوده من الظروف من أجل تشكل الكائن الحي. إنّهم مهما فعلوا، ليس بمقدورهم بالطبع أن يُخرجوا كائنا حيّا من تلك البراميل. ولا يتأتى لهم أن يأتوا بواحدة من الزّرافات أو الأسود أو النحل أو عصافير الكناريا أو البلابل أو الببغاوات أو الخيل أو حيتان يونس أو الورود أو زهور الأوركيد أو الزنابق أو زهور القرنفل أو الموز أو البرتقال أو التمر أو الطماطم أو الشمام أو البطيخ أو التين أو الزيتون أو العنب أو الخوخ أو الطواويس أو طيور الدُّراج أو الفراشات مختلفة الألوان وملايين من الأنواع الحية من مثل هؤلاء. بل ليس بوسعهم أن يأتوا ولو بخلية من هذه الكائنات الحية التي أحصينا عدداً منها، لا بواحدة منها كاملة الخلق.

جملة ما نبغي قوله هو أن الذرات غير الواعية ليس بوسعها أن تجتمع فتشكل خلية حية، ولا تستطيع أن تتخذ قرارًا جديدًا من بعد فتقسم الخلية نصفين، ثم تتخذ قرارات أخرى تباعًا فتأتي بكيان العلماء الذين اخترعوا المجهر الإليكتروني، ممن يراقبون بنية الخلية ذاتها فيما بعد تحت المجهر. إنّ الخلية تدب فيها الحياة فقط بالخلق المعجز لله عز وجل. أما نظرية التطور التي



تزعم عكس هذا، فهي سفسطة تتنافى تماما مع العقل والمنطق. وإن إعمال الفكر ولو قليلا في المزاعم التي طرحها التطوريون، ليظهر بجلاء هذه الحقيقة مثلما في النموذج الوارد أعلاه.

التقنية الموجودة في العين والأذن

أما الموضوع الآخر الذي لم تستطع نظرية التطور أن تأتي له بتفسير جازم، فهو جودة الإدراك الفائقة الموجودة في العين والأذن.

وقبل الولوج إلى الموضوع المتعلق بالعين، نود أن نجيب بإيجاز عن سؤال هو: كيف تبصر العين ؟

إن الأشعة المنبعثة من جسم ما، تسقط بشكل عكسي على شبكية العين، وتقوم الخلايا الموجودة هنالك بتحويل هذه الأشعة إلى إشارات كهربية، تصل إلى نقطة تسمى مركز الإبصار موجودة بالجزء الخلفي للمخ. وهذه الإشارات الكهربية، بعد مجموعة من العمليات يتم التقاطها كصورة في هذا المركز الكائن في المخ. وبعد هذه المعلومة فلنفكر:

إن المخ محجوب عن الضوء، بمعنى أن داخل المخ ظلامًا دامسًا، ولا يتأتى للضوء أن ينفذ إلى حيث يوجد المخ. والموضع الذي يسمى مركز الإبصار موضع حالك الظلمة ليس الضوء ببالغه أصلا، ولعله مظلم بدرجة لم نصادفها قط. إلا أنكم في هذه الظلمة الحالكة تشاهدون عالما مضيئا متوهجا.

فضلا عن كونه منظرًا على درجة من النقاء والجودة تعجز حتى تقنية القرن الحادي والعشرين ــ رغم كل الإمكانيات ــ أن تأتي بمثلها. انظروا مثلا إلى الكتاب الذي بين أيديكم الآن، وانظروا إلى أيديكم التي تمسك

الكتاب، ثم ارفعوا رأسكم وانظروا حولكم. أرأيتم منظرًا بهذا النقاء والجودة في أي موضع آخر؟ إن شاشة أكثر أجهزة التلفاز تطورًا والتي تنتجها شركة أجهزة التلفاز الأولى على مستوى العالم، لا يمكن أن تمنحكم صورة بهذا القدر من النقاء. ومنذ مائة عام وآلاف المهندسين يسعون للوصول إلى هذا النقاء، ومن ثم تُشيَّد المصانع والمؤسسات العملاقة، وتُجرى الأبحاث، ويتم تطوير الخطط والتصميمات. ولتنظروا ثانية إلى شاشة التلفاز، وفي اللحظة ذاتها إلى الكتاب الذي بين أيديكم، فسوف ترون أن هناك فرقاً شاسعاً في النقاء والجودة. فضلا أن شاشة التلفاز تبدي لكم صورة ثنائية الأبعاد، في حين أنكم تتابعون مناظر ثلاثية الأبعاد ذات عمق.

ومنذ سنوات طوال يسعى عشرات الآلاف من المهندسين لتصنيع شاشات جهاز تلفاز تعطي صورة ثلاثية الأبعاد، والوصول إلى جودة رؤية العين. نعم لقد أمكنهم تصميم نظام تلفاز ثلاثي الأبعاد، غير أنه ليس في الإمكان رؤيته ثلاثي الأبعاد دون ارتداء النظارة. ومع أن هذه الأبعاد الثلاثة اصطناعية. فالجهة الخلفية تظل عكرة، أما الجهة الأمامية فتبدو وكأنها صورة من ورق. ولا يتشكل أبدا منظر في جودة ونقاء المنظر الذي تراه العين. ويحدث بالطبع أن تضيع الصورة في الكاميرا والتلفاز.

وها هم التطوريون يزعمون أن آلية الإبصار في العين والتي تظهر هذا المنظر الذي يتسم بالجودة والنقاء، إنما تشكلت بمحض المصادفة . والآن إذا ما قال أحد لكم إن التلفاز الموجود في حجرتكم، إنما قد تشكل نتيجة مصادفات، وأن الذرات تجمعت وجاءت بالجهاز الذي يشكل هذه الصورة، ماذا تعتقدون فيه؟! كيف لذرات غير واعية أن تصنع ما لم يتأت لآلاف الأشخاص مجتمعين أن يصنعوه ؟!

إنّ الآلة التي تشكل منظرًا هو أكثر بدائية مما تراه العين، لو أنها لا تتشكل مصادفة، فإنه من الواضح للغاية أن العين والمنظر الذي تراه بدورهما لن يتشكلا محض مصادفة، والحال كذلك بالنسبة للأذن. فالأذن الخارجية تجمع الأصوات المحيطة بواسطة صوان الأذن، وتقوم بتوصيلها إلى الأذن الوسطى، لتقوم هي الأخرى بتقوية الذبذبات الصوتية ونقلها إلى الأذن الداخلية، لتقوم بدورها بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربية، وإرسالها إلى المخ. وعملية السمع أيضا كما هو الشأن في عملية الإبصار تتم في مركز السمع الموجود في المخ.

والوضع الذي في العين يسري كذلك على الأذن. بمعنى أن المخ محجوب كذلك عن الصوت مثلما هو محجوب عن الضوء، فالصوت لا ينفذ، وعليه فإنه مهما بلغت شدة الضجيج خارج المخ، فإن داخله ساكن تمام السكون. ورغم هذا فإن أنقى الأصوات تُلتقط في المخ. ولو أنكم تسمعون سيمفونيات أوركسترا في مخكم الذي لا ينفِذ إليه الصوت، فإنكم تشعرون بكل صخب أحد الأوساط المزدحمة. وإذا ما قيس مستوى الصوت الذي بداخل المخ باستخدام جهاز حساس في تلك اللحظة، فسيتضح أنه يُطبق عليه السكون التام.

وعلى نحو ما استخدمت التقنية أملا في الحصول على صورة نقية، فإن المساعي نفسها تتواصل منذ عشرات السنين بالنسبة كذلك للصوت. وتُعد أجهزة تسجيل الصوت وأشرطة الكاسيت وكثير من الأجهزة الإليكترونية، والأنظمة الموسيقية التي تلتقط الصوت، بعض ثمار هذه المساعي. ولكن على الرغم من كل التقنيات، وآلاف المهندسين والخبراء العاملين بحقلها، لم يتأت الوصول إلى صوت بنقاء وجودة الصوت الذي تلتقطه الأذن. وتأملوا أجود أشرطة الكاسيت التي تنتجها كبرى شركات الأنظمة الموسيقية، فحينما

يسجل الصوت، حتما يضيع شطر منه، أو يحدث تشوش بالطبع ولو قليلا، أو أنه حينما تقومون بتشغيل شريط الكاسيت فإنكم لا بد أن تسمعوا له صريرًا قبل أن تبدأ الموسيقى. في حين أن الأصوات التي من نتاج التقنية الموجودة بالجسم الإنساني تتسم بأقصى درجات النقاء، ولا تشوبها شائبة. ولا تلتقط أذن إنسان أبدًا الصوت بشكل به صرير أو تشويش. وأيا ما كانت طبيعة الصوت فإنها تلتقطه بشكل كامل ونقي. وهذا الوضع لا يزال على ذات الكيفية منذ أن خُلق الإنسان وإلى يومنا هذا. وإلى الآن ليس ثمة جهاز بصري أو صوتي من صنع بني الإنسان يلتقط الصورة والصوت بشكل حساس وناجح مثل العين والأذن.

وفيما عدا هذا كله، فإنه ثمة حقيقة عظيمة للغاية في عملية الإبصار والسمع.

لمن تعود حاسة الإبصار والسمع داخل المخ ؟

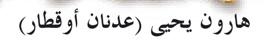
من ذا الذي بداخل المخ يشاهد عالما مضيئا ملونا، ويسمع السيمفونيات وزقزقة العصافير، ويتنسم عبير الورود؟ إن التنبيهات الآتية من عيني الإنسان وأذنيه وأنفه تمضي إلى المخ في صورة إشارة كهربية. وإنكم لتطالعون تفصيلات كثيرة في كتب علم الأحياء والطبيعة والكيمياء الحيوية، بيد أنكم لا يمكن أن تصادفوا في أي موضع قط أهم حقيقة ينطوي عليها هذا الموضوع ألا وهي: من ذا الذي بالمخ يتلقى هذه الأشارات الكهربية ويدركها على أنها صورة وصوت ورائحة وإحساس. إن ثمة حاسة توجد بداخل المخ تلتقط هذا كله دون حاجة إلى عين أو أذن أو أنف، لمن تعود هذه الحاسة. بالطبع لا تعود على ما يشكل المخ من أعصاب وطبقات دهنية

وخلايا عصبية. وهكذا ولهذا السبب ليس بمقدور الماديين الداروينيين ممن يظنون أن كل شيء ليس سوى مادة، أن يجيبوا على هذه التساؤلات، لأن هذه الحاسة إنما هي الروح التي خلقها المولى عز وجل. فهي لا تحتاج إلى عين حتى ترى الصورة، ولا أذن حتى تسمع الصوت. وعلاوة على هذا كله، فهي ليست بحاجة إلى مخ كيما تفكر. إن كل امرئ يطالع هذه الحقيقة العلمية الجلية، عليه أن يفكر في الله عز وجل الذي جمع بمكان حالك الظلمة داخل المخ يقدَّر بعدة سنتيمترات مكعّبة، الكائنات كافة بصورة ثلاثية الأبعاد ذات ألوان وظلال وضياء، ويخشاه ويلوذ به.

عقيدة مادية

إن ما تناولناه إلى الآن بالبحث والتدقيق ليظهر أن نظرية التطور ما هي إلا زعم يتعارض بوضوح مع الاكتشافات العلمية، ويجافي زعم النظرية ـــ فيما يتعلق بأصل الحياة ـــ المنطق العلمي. فليس لأية آلية تطور قط طرحتها النظرية أي تأثير تطوري. وتكشف الحفريات أن الكائنات الحية لم تمر بمراحل بينية تلك التي تستوجبها النظرية. وفي هذه الحالة يتعين تنحية نظرية التطور جانبا باعتبارها فكرة مجافية للعلم. لا سيما وأن كثيرًا من الأفكار التي ظهرت على مدار التاريخ، مثل فكرة أن الأرض هي مركز الكون، قد حُذفت من أجندة العلم. في حين أن نظرية التطور يُتشبث بها وبإصرار في هذه الأجندة، حتى إنه من الناس من يسعى لإظهار أي انتقاد موجه إلى النظرية وكأنه هجوم على العلم ! لِمَ هذا إذن؟!

إن السبب في هذا الوضع إنما هو تكون عقيدة جازمة لنظرية التطور لا يمكن النكوص عنها بالنسبة إلى بعض الأوساط. وتخلص هذه الأوساط إخلاصاً أعمى للفلسفة المادية، وتتبنى الداروينية كذلك لأنها التفسير المادي



الوحيد للطبيعة الذي يمكن الإتيان به.

وأحيانا يعترفون صراحة بهذا، ويعترف ريتشارد لونتين (Richard Lewontin) ـــ عالم الوراثة الشهير بجامعة هارفرد وفي الوقت ذاته تطوري بارز، ـــ بأنه "مادي في المقام الأول، ثم عالم في المقام الذي يليه"، إذ يقول:

"إن لنا إيمانا بالمادية، وهو إيمان استباقي (اعتُنق سلفا، وافترضت صحته). والشيء الذي يدفعنا إلى الإتيان بتفسير مادي للعالم، ليس هو أصول العلم وقواعده، بل على العكس من ذلك فإننا ـــ بسبب من إخلاصنا سلفا للمادية ـــ نختلق أصول ومفاهيم بحثية تأتي بتفسير مادي للعالم. ونظرا إلى كون المادية صحيحة صحة مطلقة، فإننا لا يمكن أن نسمح بدخول تفسير إلهي إلى الساحة".[٣٥]

وتُعد هذه الكلمات اعترافات صريحة بأن الداروينية مولود يحيا في سبيل الإخلاص للفلسفة المادية. وهذا المولود يفترض أنه ما من وجود قط سوى المادة. ولهذا السبب يعتقدون أن المادة الجامدة عديمة الوعي إنما خلقت الحياة. ويذهبون إلى أن ملايين الأنواع الحية المختلفة مثل الطيور والأسماك والزرافات والنمور والحشرات والأشجار والأزهار وحيتان البال والبشر إنما تشكلت من داخل المادة الجامدة وبالتفاعلات الحادثة داخل المادة ذاتها؛ أي بالمطر الساقط، والبرق الخاطف. أما في حقيقة الأمر فإن هذا يتنافى مع العقل والمنطق على السواء. بيد أن الداروينيين يستمرئون المنافحة عن هذا الرأي بُغية "عدم دخول تفسير إلهي إلى الساحة" على حد تعبيرهم.

أما من لا ينظرون إلى أصل الكائنات الحية وفي أذهانهم حكم مادي مسبق، فسوف يدركون هذه الحقيقة الجلية. والكائنات الحية كافة إنما هي من صنع خالق ذي قوة وعلم وعقل معجز. إنه الله الذي خلق الكون كله



من العدم، ونظّمه بشكل لا تشوبه شائبة أو قصور، وخلق الكائنات الحية كافة وصوّرها.

إن نظرية التطور هي أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم

يتعين هنا أن نوضح أن أيما إنسان يُعمِل عقله ومنطقه دون أحكام مسبقة ودون الوقوع تحت تأثير أي أيديولوجية، سيدرك بسهولة ويسر أن نظرية التطور التي تذكرنا بخرافات المجتمعات التي عاشت بمنأى عن العلم والحضارة، ليست سوى زعم يستحيل تصديقه.

وعلى النحو المتقدم تبيانه، فإن من يؤمنون بنظرية التطور يعتقدون أن الأساتذة الذين يفكرون ويعقلون ويخترعون، والطلاب الجامعيين والعلماء مثل إينستين هوبل (Einstein, Hubble)، والفنانين مثل فرانك سيناترا (Frank Sinatra) وتشارلتون هيستون (Charlton Heston)، يضاف إليهم كائنات مثل الغزلان وأشجار الليمون وزهور القرنفل، سوف يخرجون مع مرور الزمان من مزيج من كثير من الذرات والجزئيات والمواد غير الحية التي تملأ برميلا عظيما. لا سيما وأن من يؤمنون بهذا الخَرَف هم علماء وأساتذة وأناس على قدر من الثقافة والتعليم. ولهذا السبب فإن استخدام تعبير "أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم" بالنسبة إلى نظرية التطور سيكون استخدامًا في محله. إذ إنه ليس في تاريخ العالم اعتقاد أو زعم آخر سلب عقول البشر بمثل هذه الدرجة وحرمهم من فرصة التفكير بالعقل والمنطق، وكأنه أسدل ستارًا أمام أعينهم، حال دون أن يروا الحقيقة التي كانت واضحة بجلاء. وإنّ هذا لغفلة وعدم بصيرة لا يستسيغها عقل مثلها كمثل عبادة بعض القبائل الإفريقية للطوطم وعبادة أهل سبأ للشمس وعبادة

قوم إبراهيم عليه السلام للأوثان، التي كانوا يصنعونها بأيديهم، وعبادة قوم موسى عليه السلام للعجل الذي صنعوه من ذهب. وهذا الوضع في حقيقته إنما هو حماقة أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم. وينبئنا المولى عز وجل في كثير من آياته بأن من الناس من سيستغلق عليه الفهم ويتردون إلى حال يعجزون فيه عن رؤية الحقائق. ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ (البقرة: ٦-٧).

وقوله أيضا :

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أما في سورة الحِجْر فيخبرنا الله عز وجل بأن أولئك الناس قد سُحروا بحيث أنهم لن يؤمنوا حتى ولو رأوا المعجزات، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥)

وإن امتداد هذا السحر بشكل مؤثر على قطاعات عريضة من الناس بهذا القدر، وابتعاد الناس عن الحقائق بهذه الدرجة، وبقاء هذا السحر منذ ١٥٠ عاما، لهو وضع مثير للحيرة والدهشة بدرجة لا يمكن شرحها بكلمات، لأنه من الممكن أن يستسيغ العقل اعتقاد شخص أو عدة أشخاص لسيناريوهات مستحيلة ومزاعم حافلة بالخَرَف والهراء والأمور غير المنطقية، إلا أن اعتقاد

الكثيرين من البشر في كافة أنحاء العالم بأن الذرات اللاوعية والجامدة قد اجتمعت بقرار فجائي، فأتت بالكون الذي نراه يعمل بنظام لا تشوبه شائبة، ويكشف عن تنظيم غير عادي ونظام متقن غاية الاتقان، وبكوكب الأرض الذي يختص بكافة السمات المناسبة للحياة، وبكائنات حية مزودة بأنظمة معقدة تفوق الحصر، ليس له من تفسير سوى أنه سحر.

كما أن الله عز وجل ينبئنا من خلال تلك الحادثة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، بأن بعض الأشخاص ممن ينافحون عن الفلسفة الإلحادية، يؤثّرون على الناس بما يصنعونه من السحر. فحينما قص موسى عليه السلام نبأ الدين الحق على فرعون، طلب فرعون إلى موسى أن يلتقي بسحرته في موضع يحتشد فيه الناس. وحينما التقى موسى السحرة أمرهم أن يبادروا هم باستعراض مهاراتهم. والآية التي تسرد هذه الحادثة تقول: "قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ"(الأعراف:١١٦). وعلى نحو ما تبدى تمكن سحرة فرعون بما صنعوه من خدع أن يسحروا الناس جميعا باستثناء موسى والذين آمنوا به. إلا أن البرهان الذي ألقاه موسى في مواجهة ما ألقاه هؤلاء على حد التعبير الوارد بالقرآن الكريم "تَلَقَّفَ مَا يَأْفُكُونَ"، أي أنّه أبطل تأثيره، يقول تعالى:﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ**﴾ **(الأعراف: ١١٧-١١٩)**

وعلى نحو ما ورد في الآيات، و مع إدراك أن ما فعله هؤلاء الأشخاص الذين سحروا الناس من قبل وأثروا عليهم إنما هو إفك، باؤوا بالذل والضعَّة. وأولئك الذين يؤمنون بمزاعم خرقاء إلى أقصى درجة تحت غلاف من العلم وبتأثير السحر في عصرنا الراهن، وينذرون حياتهم للدفاع عنها، فسوف



يسقط شأنهم ويُذلوا ما لم يتخلوا عن هذه المزاعم، وذلك حينما تظهر الحقيقة بجلاء بكامل معانيها، و"يبطل تأثير السحر".

ويشرح مالكوم موجريدج (Malcolm Muggeridge) الذي ظل ينافح عن نظرية التطور حتى ناهز الستين من عمره، وكان فيلسوفاً ملحداً، ولكنه أدرك الحقائق من بعد الوضع الذي ستتردى إليه نظرية التطور في المستقبل القريب قائلا:

"إنني أنا نفسي صرت مقتنعا بأن نظرية التطور ستكون إحدى مواد المزاح الموجودة بكتب تاريخ المستقبل لا سيما في المجالات التي طُبقت فيها. وسيتلقى جيل المستقبل بالدهشة والحيرة اعتناق فرضية متهرئة يكتنفها الغموض بسذاجة لا يصدقها عقل" .[٣٦]

وهذا المستقبل ليس ببعيد، بل على العكس من ذلك، فإن البشر في المستقبل القريب للغاية، سيدركون أن المصادفات ليست إلهاً وسوف يتم الاعتراف بأن نظرية التطور إنما هي أكبر خدعة وأشد أنواع السحر في تاريخ العالم. وسرعان ما بدأ هذا السحر الشديد ينحسر عن الناس في شتى أنحاء الأرض، وبات الكثيرون ممن وقفوا على سر خدعة التطور، يتساءلون بدهشة وحيرة كيف انطلت هذه الخدعة عليهم.

1- Sahih-i Buhari, s. 53 hadis 15
2- Kütüb-i Sitte, 10. cilt, s. 135; Ebû Dâvud, Edeb 122, (5124); Tirmizî, Zühd 54, (2393)
3- Muvatta, Hüsnü'l-Hulk 16, (2, 908)
4- Kütüb-i Sitte, cilt 16, s.239
5- İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 2, s.365
6- İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 2, s.394
7- Müslim İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 2, s.407
8- Tirmizi İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 4, s.594
9- İbn Mace İhya'u Ulum'id-Din Huccetü'l-İslam, İmam Gazali, cilt. 4, s.655
10- Kütüb-i Sitte, 10. cilt, s.140; Ebû Dâvud, Sünnet 3, 4599
11- Kütüb-i Sitte, 10. cilt, s.141
12- Kütüb-i Sitte, 3345
13- Müslim, İmân 93, (54); Ebû Dâvud, Edeb 142, (5193); Tirmizî, İsti'zân 1, (2589)
14- Hz. Müslime İbni Muhalled r.a, Ramuz El-Ehadis, s.423.8
15- Kütüb-i sitte, cilt 10, s.134
16- İmam Gazali, Kimya-yı Saadet, s. 594 ((2) VI/253) ((5) VI/253)
17.Sidney Fox, Klaus Dose, Molecular Evolution and The Origin of Life, New York: Marcel Dekker, 1977, p. 2
18. Alexander I. Oparin, Origin of Life, (1936) New York, Dover Publications, 1953, p.196
19."New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life", Bulletin of the American Meteorological Society, vol. 63, Nov 1982, pp. 1328-1330
20.Stanley Miller, Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules, 1986, p. 7
21.Jeffrey Bada, Earth, Feb 1998, p. 40
22.Leslie E. Orgel, The Origin of Life on Earth, Scientific American, vol. 271, Oct 1994, p. 78

23.Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 189

24.Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 184

25. B. G. Ranganathan, Origins?, Pennsylvania: The Banner Of Truth Trust, 1988

26. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 179

27.Derek A. Ager, "The Nature of the Fossil Record", Proceedings of the British Geological Association, vol. 87, 1976, p. 133

28.Douglas J. Futuyma, Science on Trial, New York: Pantheon Books, 1983, p. 197

29.Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, 1970, pp. 75-94; Charles E. Oxnard, "The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt", Nature, vol. 258, p. 389

30.J. Rennie, "Darwin's Current Bulldog: Ernst Mayr", Scientific American, Dec 1992

31.Alan Walker, Science, vol. 207, 1980, p. 1103; A. J. Kelso, Physical Antropology, 1. ed, New York: J. B. Lipincott Co., 1970, p. 221; M. D. Leakey, Olduvai Gorge, vol. 3, Cambridge: Cambridge University Press, 1971, p. 272

32.Time, Nov 1996

33.S. J. Gould, Natural History, vol. 85, 1976, p. 30

34. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, 1970, p. 19

35.Richard Lewontin, "The Demon-Haunted World", The New York Review of Books, 9 Jan 1997, p. 28

36.Malcolm Muggeridge, The End of Christendom, Grand Rapids: Eerdmans, 1980, p. 43"